الله الأزلي

لو لم يكن المسيح هو الله ، إذاً فنحن - الذين نعبده - نكون وثنيين . وإذا كان هو الله وقصرنا في عبادته ، فنحن أسوأ العصاة على الإطلاق . ولو أن المسيح ليس هو الله ، إذا يكون مجدفا وكاذباً ومحتالاً . ولا يمكننا حتى قبوله على أنه رجل صالح ؛ لمجرد إعلانه بوضوح عن لاهوته . أما إذا كان فعلاً هو الله بينما نحن نذكره على أنه رجل صالح فقط ، ففي هذه الحالة نكون مجدفين .

ولا يوجد تساؤل غاية في الأهمية وعظيم الأثر كهذا : من هو يسوع؟ هل هو الله أم لا ؟ ماذا يقول الكتاب المقدس في هذا الصدد ؟

يسوع هو الكائن قبل الدهور :

يعلمنا الكتاب المقدس أن المسيح يسوع كائن قبل أن يُحبلَ به وقبل ميلاده. فميلاده لم يحدد منشأه ، بل حدّد ظهوره على مسرح التاريخ . وطوال حياته على الأرض كان يوضح وجوده السابق لميلاده ، إذ قال عن نفسه في انجيل يوحنا 16 : 28 "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم" . ووصف نفسه "كالنازل من السماء" يوحنا 3 : 13 ، ومرة أخرى سأل سامعيه عما يظنون إذا هم رأوه "صاعداً إلى حيث كان أولاً" يوحنا 6 : 62 . وقد برهنت هذه الإعلانات الجهارية بصلاته الشخصية إلى الله في يوحنا 17 : 5 "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" .

لقد رأى كتاب الأسفار المقدسة الملهمين يسوع كما رأى هو ذاته . إنه هو "الذي كان من البدء" 1يوحنا 1 : 1 ، "في البدء" يوحنا 1 : 1 و"قبل كل شيء" كولوسي 1 : 17 . كان يسوع في العالم ، ليس كواحد له جذور بشرية طبيعية ، لكن كمن "يأتي من فوق .." كمن "يأتي من السماء" يوحنا 3 : 31 . لقد افتقر في حياته هنا على الأرض مع أنه هو الغني 2كورنثوس 8 : 9 . ولم يكن هذا الإنسان سوى "الرب من السماء"

1كورنثوس 15 : 47 . وإذ عرف يوحنا المعمدان حقيقة هوية المسيح ، تمكن أن يشهد لذاك الذي أتى بعده "قائلاً هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي" يوحنا 1 : 15 ، 30 .

هو كائنٌ قبل الدهور في صورة الله :

لا يوجد دارس للكتاب المقدس يعجز عن الاقتناع ؛ بأن المسيح كائن قبل الدهور . لكن كثيرين منهم كانوا بطيئي الفهم في أن وجود المسيح السابق يعني لاهوته ، وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه الآريوسيين في القرون الأولى للكنيسة ؛ مما سبب الكثير من المشكلات . لقد قبلوا الرب يسوع كالكائن قبل الأزمنة ، لكنهم لم يروا فيه سوى أعظم المخلوقين قاطبة ، وأن الله قد خلق الكل بواسطته . لم يستطيعوا أن يقبلوا أزليته . فالمسيح بالنسبة لهم كان أعظم ما خلق الله ، وأقرب ما في الوجود لله ، لكن لأنه قد خلق لا يمكنه أن يكون الله بنفس المفهوم الذي به الآب .

أما من عرفوا بجماعة شبه الآريوسية فقد كانوا أقرب للحق ، وإن ظلوا بعيدين عنه لقد قبلوا أزلية المسيح ، واستنكروا أن يكون قد خلق ، لكنهم لم يؤمنوا أنه مُساوٍ لله الآب .

وفي اختلاف بين وواضح كل الوضوح عن هذه الآراء ، جاء إعلان الرب يسوع ذاته "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"أهيه" يوحنا 8 : 58 . ولم يكن هذا الكلام إعلاناً عن وجوده قبل العالمين فقط ، إذ كان يمكنه الإعلان بالنص الآتي : " قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت " . فتعبير " أهيه " ما هو إلا إعلان صريح عن استمرارية ودوام وجوده قبل إبراهيم وحتى لحظة نطقه لهذه الكلمات .

وإعلان الرب يسوع عن سبق وجوده هو إعلان أيضا عن لاهوته . وقد فهم سامعيه من اليهود ذلك جيداً ، خاصةً وأنهم يدركون تماماً أن كلمة "أهيه" هي التعبير الذي استخدمه الله في وصف ذاته لهم . ومن أجل ذلك كانت كلمات المسيح بالنسبة لهم تجديفا علنيا ، فما كان منهم إلا أنهم رفعوا حجارة ليرجموه . إنهم لم يكونوا ليرجموه لو أنهم قد فسروا قوله بأسلوب آريوسي أو شبه آريوسي .

لقد ارتبط لاهوت المسيح ووجوده قبل الدهور معاً في ذهن يوحنا الرسول في بداية إنجيله ، فيبدأ بهذه الكلمات الرائعة والمعروفة لنا جيداً "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" يوحنا 1 : 1 - 3 .

هذه الكلمات تستحق انتباهنا الشديد ، فهي توضح بجلاء تام أن الرب يسوع كان كائناً عند بدء تكوين الخليقة . فالمسيح يسوع لا بداءة له . وبذات الوضوح تبين هذه الأعداد أنه غير مخلوق ، إذ لو كان مخلوقاً لما كان يمكن القول بأن "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" . فالرب الكلمة لم يخلق وليس له بداية ، ونحن لا يمكننا أن نقبل أخطاء الآريوسيين .

يقول يوحنا البشير أن ذاك الأزلي غير المخلوق كان عند الله منذ الأزل، لكن هذا لا يعني أنه كان أدنى من الله ، كما ادعى شبيهو الآريوسيين. "وكان الكلمة الله" . كان يوحنا البشير جازما في تصريحه عن لاهوت المسيح ، وتقف كلماته نقضاً أبديا لرأي شبيهي الآريوسيين ، فلا مجال لإغفال هذه الكلمات أو تجنب وقعها على قارئيها . وفي الحقيقة ، فإن الأسلوب الذي كتب به يوحنا هذه الكلمات في الأصل اليوناني (حيث يسبق الخبر المبتدأ في الجملة) ينبر بلهجة مؤكدة على اللاهوت الكامل للمسيح ، وتكون كلماته صحيحة تماماً من الناحية اللغوية حين تكتب هكذا "وكان الكلمة الله ذاته!" .

وبالطبع يبدو كل هذا محيراً للعقل البشري . فكيف يكون " الكلمة " هو الله ، وفي ذات الوقت يكون "عند" الله ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن ندرس عقيدة الثالوث ، وذلك ليس في مجال هذا الكتاب . ومع ذلك لابد من الانتباه للحقائق التي أعلنها يوحنا ، فنحن لا نستطيع إدراك كل هذه الأمور ، لكن من الخطأ بمكان أن نضل عن الحق المعلن في كلمات يوحنا البشير بسبب محدودية وضعف عقلنا البشري . فما ذكره واضح بما يكفي .

ويذخر العهد الجديد بالعديد من العبارات التي تحمل ذات التعليم الذي ذكره يوحنا البشير .ففي الرسالة إلى أهل فيلبي والأصحاح الثاني والأعداد من 5 - 11 (خاصة 5 - 7) توضح هذه النقطة . فبولس يذكر بوضوح أن الرب يسوع كان له جسدٌ قبل مجيئه في وسطنا كانسان . في هذه الحالة كان مساوياً لله ، لكنه لم يتمسك بهذا الحق ، بل على النقيض نحى جانباً هذا الجلال الإلهي، وأخذ الطبيعة البشرية في صورة عبد ؛ وصار طائعاً حتى أنه قبل الموت بهذه الطريقة المشينة. وفي كل هذا ، ترك لنا مثالاً في إنكار الذات، وهذا ما يدعونا الرسول بولس لإتباعه . وكما أوضح الآلاف من المفسرين، فان كل كلمة استخدمها بولس تستبعد فكر الآريوسيين عن تجسد المسيح . وقد استند بولس في تعليمه إلى تنازل المسيح غير المحدود ، فابن الله الأزلي صار إنسانا !

وهناك فقرة أخرى لافتة للأنظار في نفس هذا السياق في (عبرانيين 1 : 1 - 3) . فوجود المسيح الأزلي قد تبرهن بالعبارة التي قيل فيها أن به (أي بالمسيح) قد عمل (يقصد الله) العالمين . وقد قيل عن المسيح الأزلي أنه بهاء مجد الله ورسم جوهره . ولكن ما معنى هذا ؟ إنه يعني أن كل البهاء الذي لله في مجده إنما يشرق من خلال ابنه ، ان مجد الابن لم يكن أقل بالرغم من تواضع مظهره الخارجي كيسوع الناصري . فقد كان "السكينة" الحقيقية التي سكن فيها اللاهوت جسدياً ، والتمثيل الحقيقي والثابت والكافي للإله الأزلي ، غير المنظور ، الذي لا يمكن لعين أن تراه . فالرب يسوع المسيح هو الصورة الكاملة لله . إنه رسم جوهره . لقد أظهر الله لنا تماماً من خلال ذاك الذي قال "الذي رآني فقد رأى الآب" يوحنا 14 : 9 . ان هذا السر يمكن أن يثير حيرتنا ، لكن لا يمكننا أن ننكره. فالخالق الأزلي ، المتميز عن الآب هو نفسه الله بذاته !

هو الله :

يبدي بعضهم الدهشة عندما نعلن أن الرب يسوع المسيح هو الله . وهؤلاء يعتبرون الآيات الافتتاحية لانجيل يوحنا البشير التي ذكرناها آنفاً أنها شاذة وغير عادية . ولكن الأمر ليس كذلك ، فأسماء الله وألقابه قد أعطيت للرب يسوع المسيح مراراً وتكراراً في الكتاب المقدس .

ومثال جيد لذلك هو كلمة " الرب " التي نجدها في كتابنا المقدس . لقد كتب العهد القديم باللغة العبرية ، حيث استخدمت كلمة " يهوه " المعروفة لنا جيداً بدلاً من كلمة " الرب " . وبمرور الوقت لم تعد العبرية هي لغة القراءة لليهود ، بل حلت محلها اللغة اليونانية ، فكان يلزم ان يترجم العهد القديم للغة اليونانية التي فهموها . وفي الترجمة التي عرفت باسم الترجمة السبعينية للتوراة ، ترجمت كلمة " يهوه " بالكلمة اليونانية "كيريوس" التي تعني الله . ولما كتب العهد الجديد باليونانية ، أطلقت هذه الكلمة بالتحديد على الرب يسوع المسيح ، والتي ترجمت إلى Lord أي " رب " في أغلب الترجمات الإنجليزية .

من هنا نرى أن الكلمة التي استخدمت للتعبير عن يهوه " الله " هي ذات الكلمة التي أطلقت على الرب يسوع المسيح . (انظر متى 7 : 22 ، لوقا 2 : 11، 5 : 8 ، يوحنا 20 ، 28 ، 1كورنثوس 12 : 3 ، 2بطرس 3 : 2 ، 18).

كل هذا سيثير حيرتنا فقط إن كنا لا نؤمن أن يسوع المسيح هو الله الأزلي . كما أن كاتب الرسالة إلي العبرانيين يرجع الكلمات الواردة في (مز 45: 6 - 7) إلى الرب يسوع المسيح ، فيقول عنه في (عب 1 : 8) "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" وهذه واحدة فقط من فقرات متعددة من العهد القديم قيلت عن " يهوه " وأطلقت على المسيح بواسطة كتاب العهد الجديد . وبالنظر إلى تلك الفقرات يتضح لنا بسهولة أن المسيح هو " الله " (سفر العدد 21 : 5 - 6) (1كورنثوس 10 : 9) ." يا إلهي .. أنت هو ، وسنوك لن تنتهي " (مز102 : 24 - 27 ، عب 1 : 10 - 12) ، " الملك ، رب الجنود" (اشعياء 6 : 1 - 10 ، يوحنا 12 : 39 - 41) ، رب الجنود نفسه (اش 38 : 14 ، رو 9 : 33) "الإله القدير" (اشعياء 9 : 1 - 6 ، ومتى 4 : 14 - 16) ، " السيد " (ملاخي3 : 1 ، متى 11 : 10) .

وفي نفس السياق لم يتردد بولس في أن يدعوه ".. المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين " (رومية 9 : 5) ، ".. الله العظيم ومخلصنا " (تيطس 2 : 13) وفي هذا العدد بالذات يجدر الملاحظة بان بولس يتكلم عن شخص واحد بعينه (وليس اثنين) . وبالنسبة إلى يوحنا ، فهو " الألف والياء .. القادر

على كل شيء " (رؤيا 1 : 8) ، ثم يؤكد لنا بكل وضوح وبغير أي لبس أنه هو " الإله الحق والحياة الأبدية " (1يوحنا 5 : 2).

هو الله بكل الوضوح والتأكيد :

لن تدعنا الأسفار المقدسة نخطئ الهدف ونعتقد في المسيح أقل مما يجب. فلو رأينا فيه بالفعل أنه ابن الله الكائن قبل التجسد ، بل هو الله فعلاً ، فنحن بذلك لم نتجاوز الكتاب المقدس . فقد نسبت إليه كل الصفات الإلهية ، وعمل أعمالاً إلهية، وقبل كل التعبد له كإله . وسوف نشرع الآن في تفنيد كل نقطة على حدة ، واضعين في اعتبارنا أنه من هذه النقطة فصاعداً - في كتابنا هذا- أننا نتكلم عن ربنا وإلهنا قبل مجيئه فيما بيننا كانسان .

الأزلية هي إحدى صفات الله ، وقد نسبت إلى الرب يسوع المسيح بكل وضوح في الكتاب المقدس . فمثلاً في (اشعياء 44 : 6) نقرأ عن يهوه قوله " أنا الأول والآخر .." إلا أن يسوع أيضاً يقول في سفر الرؤيا " أنا الألف والياء. البداية والنهاية . الأول والآخر " (رؤيا 22 : 13) حيث أن يهوه أزلي، ويسوع أزلي يتضح أن يسوع المسيح هو يهوه ، أي الله .

وعلى نفس المنوال ، نعلم أن الله ثابت لا يتغير (ملاخي 3 : 6) إنه هو هو دائماً لا يتغير . وما هو حقيقي عن الله وحده ، حقيقي أيضاً عن الرب يسوع المسيح . يمكننا أن نقول له في (عب 2 : 12) " ولكن أنت أنت .. " ونحن نتشجع عندما نعرف أن " يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " انظر (عب 13 : 8) .

ولا يثير الدهشة أن ذاك الذي له صفات الله ، يرى صانعاً لأعمال إلهية حتى قبل تجسده . فالكتاب المقدس يبدأ بهذه الكلمات العظيمة " في البدء خلق الله السموات والأرض " (تكوين 1 : 1) . ولكنه لا يتركنا في شك أن يسوع المسيح هو الخالق ، وأن " كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، وكُوِّن العالم به.. " (يوحنا 1 : 3 ، 10) ، أيضاً " الكل به وله قد خُلق " ، " الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل " (كولوسي 1 : 16 - 17) . وقد وُجّهت الكلمات التالية للمسيح : " وأنت يا رب في

البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك . هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى " (عب 1 : 10 -11) .

لكن هل خلق الله العالم ، ثم تركه يعمل بدونه ؟ أبداً . إنه شخصياً يحكم ويدير ما قد صنع . إذ أن " الرب في السموات ثبّت كرسيّه ومملكته على الكل تسود " (مز 103 : 19) ، و" الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله " (مز 145 : 9) ، ومن ناحية أخرى قيل عن يسوع أنه "هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل" (كولوسي 1 : 17) وإنه " حامل كل الأشياء بكلمة قدرته " (عب 1 : 3) ، فهو يحكم الخليقة منذ البداءة وحتى يومنا هذا . فَمَنْ غير الله الذي يمكنه أن يعمل أعمال الله ؟

فإذا كان الأمر كذلك ، فنحن نتوقع سجوداً وتعبداً لشخص المسيح الكائن قبل تجسده ، وهذا بالضبط ما نجده . فنقرأ في سفر اشعياء والاصحاح السادس عن حادثة عجيبة حدثت في حوالي عام 700 قبل الميلاد . رأى النبي اشعياء رؤية عن يهوه في الهيكل . رآه جالساً على عرشه محاطاً بكل مجد السماء ومن حوله السرافيم ، الذين مع كونهم بلا خطية ، لم يستطيعوا مجابهة مجده البهي ، فغطوا وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم وصرخوا " قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض " (اشعياء 6 : 3) لقد اهتز الهيكل من هذه الحقيقة ، وامتلأ دخاناً . أما النبي المشاهد لهذه الرؤية فقد بدا مأخوذا تماماً ، وانتابه إحساساً عميقاً بنجاسته ودنسه مقارنة بما رأى .

ويخبرنا يوحنا البشير في بشارته أن ما رآه اشعياء كان مجد الرب يسوع المسيح ! وبعد أن اقتبس ما قاله يهوه للنبي القديم آنذاك ، أضاف هو " قال اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه " (يوحنا 12 : 41) . ويتضح من القرينة أن ضمير الغائب يعود على الرب يسوع المسيح . فيهوه الذي رآه اشعياء ؛ كان ابن الله قبل التجسد ، إنه هو الذي كان فوق عرش يهوه وكان ابهي من أن يرى وكان مركز عبادة السماء إنه الإله الأزلي . فلا عجب أن يكون احد قوانين السماء " لتسجد له كل ملائكة الله " (عب 1 : 6) .

إنـه ابن الله :

الوحي الإلهي يتحدث عن الوهية الرب يسوع المسيح بصورة مزدوجة ، فهو من جهة كامل الألوهية في ذاته ، وفي نفس الوقت ألوهيته وألوهية الآب تتسمان بترابط وانسجام جوهري . ولابد أن نذكر هنا شيئاً عن " أزلية الابن " كعقيدة ، لئلا يحدث لبس في الأمر ، وتكون هناك ذريعة للتقليل من مجد الابن، أو اعتباره في درجة من المجد أقل مما للآب .

وصف الرب يسوع المسيح على أنه " وحيد من الآب " (يوحنا 1 : 1)، وفي (يوحنا 1 : 18 ، 3 : 16) أنه " الابن الوحيد " ، وفي (يوحنا 3 : 18) " ابن الله الوحيد " . فوجود الابن يُعزَي للآب ، وليس العكس . وقد أستخدم لفظ " البكر " في مناسبتين أخريين - مما يظهر بوضوح ما كان عليه قبل الخليقة كلها(كولوسي1 : 15 ، عبرانيين1 : 6) . من الواضح أن علاقة الآب بالابن متفرّدة ، ومع ذلك فقد تعامل الكتاب المقدس مع عقولنا البشرية المحدودة كي نفهم هذا الحق الفريد باستخدام مصطلحات نفهمها . وقد قرأنا قبلاً في (عبرانيين1 : 3) أن الابن صورة الله الآب ورسم جوهره وبهاء مجده وواضح ان المقصود أن نفهم انه غير ممكن ان يكون بدون الله الآب . ولكن لم يُذكر أبداً أن الآب هو صورة الله الابن .

ويجب ملاحظة أننا لا نعني أن الله الآب قد خلق الابن . وكان قانون الإيمان الذي وضعه اثناسيوس محقا أن يوضح أن الابن من الآب فقط ، مولود غير مخلوق . ونقول مرة ثانية أن الرب يسوع المسيح غير مخلوق . إنه مساو لله الآب . فكلاهما الله السرمدي ، وكلاهما الله الواحد .

كما أننا لا نقول أن الله الآب اختار أن يفعل شيئاً أو أن شيئاً لم يكن موجودا لكنه ظهر فعلا . لا ، نحن نتكلم عن شيء يحدث طبيعيا في اللاهوت وحدث هكذا منذ الأزل . شيء يحدث الآن وقد حدث منذ الأزل . وإلا كان هناك تغير في اللاهوت وهذا مستحيل ، علاوة على أنه يناقض التعليم الكتابي الصريح عن المسيح في ميخا 5 : 6 " مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (انظر مت 2 : 6 ، يو 7 : 42) .

ونحن نكرر هنا ، أن الله الآب لم يجعل الله الابن إلهاً ، بل هو الله بذاته. ومع ذلك ، فوجود الابن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالآب .وفي اللاهوت يحدث شيئا مشابها للصلة بين التفكير والكلام . فالابن هو التعبير عن الله الآب . وهنا نستطيع أن ندرك لماذا قيل عنه أنه " الكلمة " الذي كان في البدء عند الله ، وكان الكلمة الله (يو1 : 1 – 2) . هذا هو الابن ، الذي لم يكن ممكناً أن نعرف الآب إلا به . والآب لم يكن ليجد من يعبر عن نفسه بدون الله الابن . وهذه هي العلاقة بين الأقنومين الأول والثاني من الثالوث .

وهناك نصوص كتابية عديدة في الكتاب المقدس تتكلم عن هذا الحق السري الذي نحن بصدده . فالرب يسوع المسيح هو الله بذاته ، ولكن لنتأمل في الأساليب التي وصف بها ليس فقط كلمة الله (يوحنا 1 : 1) ، ورسم جوهره (عب1 : 3) ، لكنه أيضاً في صورة الله (في2 : 6) ، و" صورة الله غير المنظور" (كو 1 : 15 2كو 4 : 4) . وهكذا نرى أن هذه الحقيقة تلحّ علينا دائماً، ولا يمكن للابن أن يكون في ما هو عليه بدون الله الآب . إن كيانه مرتبط بالله الآب .

من الأهمية بمكان التأكيد على أن علاقة الآب بالابن لم يكن لها بداية. فلا يجب بأي حال أن نظن أن يسوع دُعي " الابن " فقط منذ ميلاده كانسان في هذا العالم . لقد أوضح يوحنا البشير هذه الحقيقة في (يو 1 : 14- 18) عندما صرّح بان الناس قد تمكّنوا من رؤية الابن الوحيد الذي للآب عندما أتخذ جسداً ، لكنه كان الابن الوحيد قبلاً . لقد كان ابن الله العزيز عندما خلق الكون (كو1 : 14 - 20) . انها لم تكن حالة جاءت بعد ذلك . نجد أيضاً أن الوحي يتكلم عنه كابن الله قبل أن يذكر ميلاده في كل من (رو1 : 3 ، غل4 : 4) . لقد كان الابن قبل أن يأتي في شبه جسد الخطية (رو8 : 3) ، وكان الابن قبل أن يرسله الله إلى العالم (يو3 : 16 ، 1يو4 : 9) .

وتعتبر الآيات الواردة في (عب1 : 5 - 8) ذات أهمية خاصة . فقد أُعلن فيها أن الرب يسوع المسيح - كالابن - هو الله ، وسيملك على العرش إلى دهر الدهور . إنه " البكر " الذي أُدخل إلى العالم ، وبنوته أزليّة ، وعلاقته بالله الآب لا بداية لها ، وهي فريدة من نوعها وتتجاوز حدود إدراكنا ، " وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب . ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت11 : 27) .

إنـه المسيا القدوس :

كـان الغـرض مـن هـذا الفصـل الافتتـاحي هـو توضـيح أزليـة لاهـوت ربنـا يـسوع المسيح . أما الفصل التالي في كتابنا هذا فسوف يبحث في مجيئه فيما بيننـا ، وسيوضـح أن لاهوته كان أكثر جلاءً حتّى بعد تجسده عن ذي قبل . ولكي نعدّ أنفسنا لذلك ، نحتـاج أن نختتم هذا الفصل بالتوضيح الآتي ، لقد تبرهن - بما لا يدع مجـالاً للشك - أن المسّيا الآتي إلى العالم هو الله ، حتى قبل مجيئه للعالم ولنتأمل في بعض الأمثلة :

يتكلم الوحي الإلهي في المزمور الثـاني عن ملك قيل عنـه أنـه ابـن الله . ذاك وُعِد بمُلك شامل على الأرض وكل سكّانها . وحضّ الجميع علـى الخضوع لـه والثقـة فيـه ، لئلا يتعرّضـوا لغضبه . وقد أدرك اليهود أن المقصـود هنـا هـو المسيّا المنتظـر ، علـى الرغم من تصميمهم على التقليل من شأن كل الشواهد الكتابية التـي تؤكد لاهوتـه . ومـع ذلك ظلت هذه الحقائق واضحة جداً. في (اعمال13 : 33) أعلن بـولس الرسـول أن هـذا المزمور إنما يقصد الرب يسوع المسيح . لقد لُقب المسيا بالألقـاب الإلهيـة قبل تجسده بزمن بعيد . لقد عُرف بأنه ابن الله قبل قرون طويلة من اتخاذه الطبيعة البشرية .

واعتبـر اليهـود أن مزمـور 45 يـشير أيضـاً إلـى المسيّا ، وقـد تأكـدت هـذه الحقيقـة بكاتـب العبـرانيين (انظـر عـب1 : 8 - 9) . لقـد أوضـحت هـذه الأعـداد بجـلاء أنـه مـن اللائق أن يُدعى يسوع الله ، وأن عرشه أبدي . كما أوضحت أن كيان الابن هو في ذاتـه ولم يُصبح هكذا عند تجسده .

ويشير مزمور 110 إلى المسيّا ببرهان لا يدع مجـالاً للشك ، وذلـك لمـا جـاء علـى فـم الـرب يـسوع المـسيح نفسه فـي (مـت22 : 43 - 44) ، ومـا قالـه كاتـب الرسـالة للعبـرانيين (عـب 5 : 6 ، 7 : 17) . لقد دُعـي رب داود ، وقـد اسـتخدم اسـم "أدونـاى" الذي يستخدم فقط للإشارة إلى الله الأسمى ، إلـه إسرائيل. لقد دُعي هذا الإلـه للجلوس عن يمين يهوه حتّى يضع أعداءه موطئا لقدميه . وهذا واحد فقط من شـواهد كثيـرة فـي

العهد القديم تكشف النقاب عن هذه الحقيقة المذهلة، أن الابن منفصل عن الله ، ومع ذلك فهو الله ذاته !

وأمثلة مماثلة كثيرة نجدها في أماكن متفرقة في كتب أنبياء العهد القديم . في (اشعياء9 : 6) يتكلم النبّي عن المسيّا الآتي كالإله القدير (انظر مت4 : 14 - 16) ، ولم يكن هذا لقباً لتبجيله بعد ميلاده ، بل كان حقيقة هويته عند ميلاده . ويراه إرميا النبّي أنه " الرب (أي يهوه) برُّنا " (ارميا23 : 6) . وكان لدى زكريّا النبّي الجرأة المقدسة حتّى يذكر أنه " رفيق " يهوه ! (زك13 : 7) (انظر مت26: 31) . لم يكن هناك مجال للخطأ في من ينتظره اليهود . فالمسيا البَشَري الذي ينتظرونه يسكنه اللاهوت وسيكون واحدًا مع اللاهوت . سيكون الله نفسه .

من الصعب أن نفهم كيف فشل اليهود في معرفة هوية المسيح حال مجيئه بينهم . والتفسير الوحيد المقبول هو العمى الروحي عديم الشفاء الذي أصابهم . لقد تكلم آخر أنبياء التوراة عمن انتظروه " كالسيد ، الذي تطلبونه " (ملا 3 : 1) . والكلمة المستخدمة هنا أيضاً هي " أدوناى " . وأُطلق على الهيكل المخصّص لعبادة يهوه " هيكله " . ولإزالة أي أثر للشك ، أُعلن أن المسيّا القادم سوف يتكفّل بالقضاء الإلهي (ملا3 :2) . بعد كل هذا كان يجب أن يكون واضحاً لهم هوية المسيّا الذي كانوا ينتظرونه .

لقد أُخبروا أيضاً أن مجيء المسيّا القدوس لن يكون مفاجئاً لهم بل سوف يسبق مجيئه رسول يعدّ الطريق أمامه . وصمت صوت الوحي المقدس بعد هذه النبوءة مباشرة . ومضى جيل بعد الآخر دون أن تأتي أية رسالة أخرى من السماء .

ولم ينكسر الصمت إلا بعد أربعمائة عام . فقد وقف يوحنا المعمدان على ضفاف نهر الأردن معلناً أنه هو الآتي ليعد طريق المسيّا ، الذي تكلم عنه ملاخي (مر1 : 2 ، يو1 : 23) . وقد كان مثل إيليا تماماً في ملبسه وسلوكه ورسالته ، وهذا ما جعله بحق المتمم لنبوءة ملاخي (ملا4 : 5 - 6) (وانظر مت11 : 7 - 15) .

كان ظهور هذا الرسول الذي سبق التنبؤ بقدومه ؛ إيذاناً بان مجيء " الرب " و " المسيا " قد صار قاب قوسين أو أدني ، واضطربت الأمة اليهودية بأسرها . لمن بالتحديد كان يوحنا يعد الطريق ؟ من هو ذاك الذي جاء ليبشر به ؟

في اليوم التالي رأى يوحنا يسوع قادماً نحوه فقال " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم . هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدّامي لأنه كان قبلي . وأنا لم أكن أعرفه . لكن ليُظهَر لإسرائيل لذلك جئت أعمّد بالماء .

وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه . وأنا لم أكن اعرفه . لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله ." (يوحنا1 : 29 - 34)

لكنهم فشلوا في فهم ما كان يوحنا يوضحه لهم . ولم يكن خطأ يوحنا ، فقد كانت شهادته عن المسيح واضحة بما فيه الكفاية، لكنه كان خطأهم هم . فقد أعمت الكبرياء - في ثوبها المعروف من التحزب وعدم الإيمان - عيونهم عن رؤية الحقيقة الواضحة . وإذا لم نقبل نحن أيضاً شهادة الإنجيل عن شخصية المسيح ، نكون مثلهم تماماً ، فالقلوب الساجدة لا تجد صعوبة في التعرف عليه .

الله معنا

رأينا أن الرب يسوع المسيح كان الله منذ الأزل . والغرض من هذا الفصل ، توضيح أنه بتجسده كإنسان لم يصبح في مكانة اقل من الله . صحيح أنه بتجسده صار في صورة مغايرة لما كان قبلاً ، وهذا ما سنبحثه في الفصل الخامس، لكنه ظل على ما كان عليه دائماً ، إن دخوله إلى العالم كان كعمانوئيل ، الذي تفسيره " الله معنا " (متى 1 : 23) . إنه كان من حل فيه " كل ملء اللاهوت جسدياً " (كو2 : 9) . مرة أخرى نحن أمام سر عظيم وجهاً لوجه . فكيف يتخذ ابن الله الأزلي - طبيعة البشر ، ويأخذ لنفسه جسداً وروحاً، كل هذا فوق إدراك عقولنا البشرية . ونحن هنا نبرز ما يجب أن نتذكره دائماً : يمكننا دائماً أن نقر الحق لأن الأسفار المقدسة تبينه ، لكننا ببساطة لا يمكننا فهم كيف يمكن أن يكون هكذا . كيف يأتي غير المحدود إلى هذا العالم المحدود ويعيش كانسان محدود ؟ كيف يدخل الذي هو فوق الطبيعة الزمنية الحياة في كوكبنا هذا ؟ " عظيم هو سر التقوى .. " (1تيمو 3 : 16).

وستبقى حقيقة أن " الكلمة صار جسداً " سواء فهمنا أم لا، وكما جاءت في (يو1 : 14) ، فالنص في هذه الآية دقيق جداً وواضح جداً . وليس هناك أي تلميح أو إشارة أن " الكلمة " توقف عن أن يكون الله كما كان قبل التجسد . لقد ظل كما هو تماماً بعد تجسده كما كان قبله فلم يتحول إلى جسد وبذلك تغيرت طبيعته الأولى . لقد كان - وظل - ابن الله غير المحدود وغير المتغير . وما حدث هو عملية إضافة ، فقد اتخذ لنفسه جسداً بالمعنى المفهوم (باللغة اليونانية : Sarx) ، أي طبيعة بشرية كاملة من جسد ونفس ، وسوف نرجع لتلك النقطة تفصيلياً فيما بعد . وهدفنا الأوحد الآن هو التنبير بشدة على أن الرب يسوع المسيح ظل هو هو الله الكامل حين كان بالجسد فيما بيننا في هذا العالم .

والأمر المذهل في التجسد هو أن من ظل دائماً وأبداً كما كان " ظهر الآن في الجسد " (1تيمو 3 : 16) . لقد اتخذ الحالة التي يكون فيها مسموعاً ومرئياً وملموساً

من البشر . ولكن ذلك لم يقلل من حقيقة كونه أنه " الذي كان من البدء .. كلمة الحياة " . والفرق العظيم هو أن " الحياة أظهرت .. أظهرت لنا ".

أية حياة ؟ " الحياة الأبدية التي كانت عند الآب " (انظر 1يو 1 :1 -2). وهؤلاء الذين رأوا المسيح " رأوا مجده ، مجداً كما لوحيد من الآب (يو 1 : 14) ، وبذلك لم يروا سوى ابن الله الأزلي ! فلم يحدث التجسد أي تغيير من أي نوع في طبيعته الإلهية . بل على العكس ، فقد كانت المرة الأولى التي ظهر اللاهوت فيها أمام عيون البشر . " الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر " (يو 1 : 18) .

ولتوضيح هذه الحقيقة لأبنائهم ، اعتاد بعض المتطهرين (Puritans). أن يرجعوا إلى ملوك إسبرطة القدماء . ففي مواقف عدة، ذكر في تاريخ إسبرطة حكم أكثر من ملك في ذات الوقت ، في سلطة مشتركة فيما بينهم . ومن وقت لآخر ، كان أحد الملوك يرسل لولاية مجاورة كسفير لبلاده . فهل كان ذلك يمنعه من أن يظل ملكاً لاسبرطة ؟ فدوره كسفير لم ينزع عنه كرامته الملكية . وبالمثل، حين أصبح المسيح إنسانا لم يتوقف عن أن يكون الله أيضا . لقد ظل هو سيد الخليقة كما كان دائما . فكونه أصبح مرسلاً من الله وخادماً لأبيه بإرادته ، لم يغير حقيقته الأولى بأية حال .

ويمكن إدراك هذه الحقيقة بسهولة شديدة إذا تأملنا في كلمات بولس الرسول إلى أهل فيلبي 2 : 7 حيث يخبرنا الرسول أن يسوع (أخذ صورة عبد) . وكحقيقة بديهية فإن كل مخلوق إنما هو خادم لصانعه ، فلا يمكن لمن جبل أن يتخذ لنفسه صورة الخادم ، إذ انه كذلك بالفعل . ولكن بولس يعلن أن المسيح لا ينطبق عليه هذا الكلام ، فهو قد " اتخذ لنفسه صورة العبد " ، ولا يمكن استخدام هذه العبارة المتعلقة بالتجسد إلا إذا كان المقصود بها هو الله نفسه .

ميلاده :

تعيَّن أن يكون ابن الله الأزلي واحداً من الجنس البشري عن طريق الولادة من عذراء ، وهو أمر خارق للطبيعة " والمولود لم يكن مجرد مولود عادي " لقد كان ابن الله الأزلي في صورته البشرية . وفي الفصل السابق مررنا على سلسلة من وعود العهد القديم التي أكدت على قدوم إنسان إلينا ، الذي كان في الحقيقة الله ذاته . وقد كانت هذه الحادثة تحقيقاً لقول الله الذي ذكره مراراً وتكراراً ولزمن طويل .

ولكن - كما يذكرنا متى في (مت1 : 22 ، 23) فقد كان ميلاد المسيح تحقيقاً أيضاً لنبوءة خاصة جداً لاشعياء النبي منذ سبعة قرون خلت . في حديثه للملك آحاز ؛ قال اشعياء النبي " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الله معنا) " (اش 7 : 14) .

لقد كان الملك آحاز يخشى أن تباد مملكة يهوذا بواسطة القوات المشتركة لسوريا وإسرائيل ، وكانت إرسالية اشعياء تتضمن تأكيداً للملك بأن خططهم ضد بلاده لن تسفر عن شيء . لقد دعا الملك أن يسأل علامة من الله على صدق هذا الكلام ، لكن الملك رفض . لذلك فقد تقرَّر أن الرب سيعطي نفسه آية : فها عذراء سوف تحبل بطفل يكون هو الله !

كان واضحاً أن هذا الطفل لن يولد في التو . وحين يفطم هذا الطفل ، ويكون قادراً على التمييز بين أنواع الطعام المختلفة ، سوف يأكل " زبداً وعسلاً " (اش 7 : 15) .

كانت هذه السلع متاحة مجانا في أرض كنعان ، ولكن ليس في أوقات الحرب ، بسبب النهب والسلب بواسطة الجيوش المُغيرة . فكان من الواضح إذاً ان هذا الطفل لن يولد في أوقات الحروب تلك . وفي الحقيقة فقد ذكر الوحي جازماً أنه في وقت فطام الطفل ، لن يكون هناك وجود لسوريا وإسرائيل كليهما . (اش 7 : 16) .

كان جلياً إذن أن هذه الآية الموعودة سوف تحدث مستقبلاً . فلماذا إذن ذكرها الوحي الإلهي لآحاز في ذلك الحين ؟ أي تعزية يمكن أن تحملها هذه الكلمات في وقت عصيب كهذا ، فيه يخشى على مملكته من الخراب ؟

كان قصد الله أن يعلن أن يهوذا لا يمكن أن تباد ، لأن له فيها مقاصد سامية في المستقبل . ألم تكن يهوذا ملكاً له ؟ ألم تكن " بلاد عمانوئيل " ؟ (اش 8 : 8) .

فكيف يولد عمانوئيل (الله معنا) في يهوذا لو لم توجد ؟ فالمجيء العتيد لابن العذراء كان ضماناً كافياً للملك آحاز بان مملكة يهوذا لا يمكن أن تباد أو تفنى ، فلو حدث ذلك ، فلن يمكن أن يتم الوعد الإلهي ، وهذا مستحيل . بل إن الجليل سوف ينضم لأرض يهوذا أيضا (اش 9 : 1) ، حينئذ " يولد لنا ولد.. ويدعى اسْمه ... إلهاً قديراً ... على كرسي داود " (اش 9 : 6 ، 7) .

بعد هذه الأحداث بسبعمائة عام ، ظهر ملاك لاثنين من سبط يهوذا ، عاشا في الجليل . وكان الملاك جبرائيل هو الذي حمل الرسالة الأولى لمريم ، عذراء بالناصرة " فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العليِّ تظلّلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يُدعى ابن الله " (لوقا1 : 30- 35). وصُدم يوسف حين وجد خطيبته حبلى ، غير عالم أنها " حبلى من الروح القدس " (متى 1 : 18) . ومع أن يوسف ومريم لم يكونا زوجين بالمعنى المعروف ، إلا أنه كان يلزم طلاقهما لكسر الارتباط الذي كان بينهما ، كانت هذه هي التقاليد حينذاك . ولأنه رجل بار، وواضح أنه كان يحب مريم ، قرر أن يتم كل هذا في هدوء .

" ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذي حُبل به فيها هو من

الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل . هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا " (متى1: 20 – 23) .

إدراكه لذاته : (His Self - consciousness)

كان إدراك الرب يسوع للاهوته أمراً مصاحبا له طيلة حياته على الأرض . كان يعي تماماً علاقته المتفردة بالله ، متنبها دائماً بأنه الابن الأزلي. ولم يعطل تجسده كل ما علمه منذ الأزل. وهذا واضح تماماً حتى من كلماته الأولى التي نطق بها حين كان صبياً له اثنتا عشرة سنة . وقالت له أمه " يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبَيْن " . فقال لهما " لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي " (لوقا 2 : 48 ، 49) . لقد حوَّل أي إيحاء بأن يكون له أب بشري إلى النظر في ما يجب أن يكون ، إذ قال أنه لابد أن يكون في بيت أبيه - قال هذا في الهيكل - أي في بيت الله !

وقد ظهر واضحاً إدراكه للاهوته عندما بدأ الرب يسوع في تعليمه الجهاري - لقد تكلم بسلطان عجيب أذهل سامعيه (متى 7 : 28 ، 29، يوحنا 7: 32 ، 45 ، 46) .

لقد اعتاد مستمعوه على تعاليم الكتبة من اليهود ، الذين قضوا معظم أوقاتهم في نقل واقتباس أقوال الكُتَّاب والمعلمين . لكن الرب يسوع لم يتكلم مثلهم، ولم يتكلم كالأنبياء الذين كانوا يستهلون حديثهم بالقول " هكذا يقول الرب " لقد تكلم بسلطانه هو شخصياً قائلاً " أنا أقول لكم " (متى 5 : 18 ، 20 ، 22 ... الخ) لقد تكلم مدركاً أنه هو الله .

ولقد وضح تماماً إدراك الرب يسوع لشخصيته في بشارة يوحنا . فهناك عشرات الأعداد التي يمكن الرجوع إليها ، ولكن دعنا ننتقي بعضها . ففي (يوحنا 5 : 16 - 47) مثلاً ، يتكلم يسوع - تفصيلياً - عن علاقته الفريدة بالله الآب . وتبين

الترجمة اليونانية لعدد 18 قوله عن الله بأنه أبوه هو (His own father) . بمعنى أن الله أبوه ؛ بكيفية تختلف عن أبوته لأي إنسان آخر.

وقد فهم اليهود (الذين كانوا يسمعونه) ذلك المعنى تماماً واحتدم غضبهم لأنه جعل نفسه معادلاً لله (أعداد 17 - 18) .

إن ما يلفت النظر هو أن إدراك يسوع لوجوده الأزلي ، لم يقلل من إدراكه أنه مساوٍ لله . وقد استرسل موضحاً أنه مع قيامه بعمل كل الأعمال التي يعملها الآب ، إلا أنه لا يمكنه أن يعمل مستقلا عن أبيه (أعداد19- 24). لكنه هو فقط الذي يدين ؛ لأن الآب قد عهد بالدينونة إليه (عدد22) .

إن هذا لا يعني مطلقاً أنه أقل من الآب . حاشا ! بل في الواقع كان لابد أن يُعطي الإكرام الذي للآب ! (عدد 23) . فإذا لم يُكرم الابن ، حينئذ لا يكون الآب قد أكرم أيضاً . وهكذا نرى أنه كان مدركاً لبنوته ، وأن الآب قد أرسله . ومع ذلك فانه يدرك مساواته للآب ووحدته به بطريقة لا تفهمها عقولنا .

وبمواصلة الكلام في هذا الجزء ، يعلن الرب يسوع أنه له حياة في ذاته، تماماً مثل الآب . فهو بخلافنا لم يُعط الحياة من أحد . وأكثر من ذلك ، هو يعلن أن له حياة في ذاته ، فقط لأن الآب أعطاه ذلك ! (عدد 26) أيضا امتياز إقامة الموتى إنما هو لابن الله (عدد25) ، ومع ذلك لا يمكنه أن يصنع شيئاً بمبادرة شخصية منه . فكل القوة التي له ، إنما تُعزي للآب - أبيه - الذي أرسله إلى العالم ، والذي يحب أن يتمم مشيئته (إعداد 30 ، 36). إنه يأتي ليصنع قوات إلهية (عدد 40) ، وتشهد له الكتب (إعداد 39 ، 46) ، ومع ذلك فهو لا يأتي باسمه بل باسم أبيه (عدد 43).

فكل المقطع يوضح أن الرب يسوع علم وأدرك أنه الله . إنه الله بذاته هو (God in His own right) . لكنه أيضاً علم أنه لاشيء بدون الله الآب . فهو لم يكن يدرك فقط علاقته المتفردة بالله ، بل كان أيضاً بامكانه أن يعرّف بدقة حقيقة

هذه العلاقة . فقد نطقت شفتاه بما لا يمكن لأي إنسان أن يدرك ، وهذا في حد ذاته دليل آخر على أن من نطق بهذه الكلمات لم يكن سوى الله نفسه .

ومقاطع مماثلة موجودة في انجيل يوحنا والاصحاح الثامن والعاشر . فيبدأ الاصحاح الثامن بقصة المرأة التي أمسكت في زنا . فبعد أن دعا يسوع أيا من كان منهم بلا خطية أن يرمها بحجر ، خرج كل المشتكين عليها ، واحدٌ تلو الآخر . وبقى يسوع وحده ، وتكلم معها كمن كان له وحده سلطان إدانتها، ولكنه لم يفعل ، وأمرها بألا تعود للخطية مرة أخرى . تبرهن هذه الحادثة إدراك الرب يسوع بتنزهه عن الخطية وبأن له الحق الإلهي في الإدانة ، والغفران وإعطاء الأوامر الأخلاقية المطلقة .

ويمتلئ باقي الأصحاح بإشارات عن علاقته بالآب . لقد أعلن الرب يسوع أنه يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب (عدد 14) . من أين أتي ؟ " من فوق .. لست من هذا العالم " (عدد 23) . لقد أُرسل إلى العالم من قبل أبيه (الإعداد 16 ، 18 ، 26). " لأني خرجت من قبل الآب وأتيت . لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني " (عدد 42) . إلى أين كان ذاهباً ؟ كان ذاهبا إلى حيث لا يقدر سامعوه أن يذهبوا ، وواضح أنه ذات المكان الذي أتى منه (إعداد 21 - 24) . ولم يكن ليفيد اليهود في شيء أن يسألوا أين كان أبوه ، فلو أنهم عرفوا المسيح لكانوا عرفوا الآب أيضا (عدد 19) .

وكان يسوع واضحاً تماماً في قوله أن من عرفه فقد عرف الله أيضاً ! ولكن ماذا كانت علاقته بالآب ؟ إنه لم يكن وحيداً البتة ، فقد ظل برفقته دائماً (عدد 16) ، ذلك لأنه فعل كل ما يرضيه (عدد 29) ان الشركة إذن لم تنقطع. لقد كان الآب شاهداً له باستمرار (عدد 18) . لقد أكرم الآب (عدد 49) ، والآب مجده (عدد 54) . لقد تكلم بما سمعه ورآه عند الآب (إعداد 26، 38). لقد تكلم بما سمعه ورآه عند الآب (أعداد26 ، 38) ، وهذا بالطبع يعني أن الكلمات التي تكلم بها كانت هي كلمات الله (إعداد 45 - 47) . لم يعمل شيئاً بمبادرة شخصية منه، بل تكلم وفعل ما

علمه إياه الآب (عدد 28) . لقد كانا في علاقة فريدة معاً ، وهو قد عرف الآب كما لم يعرفه أحد من قبل (عدد 55) .

من الواضح أن الابن كان غير ممتزج في الآب ، ولكن هل يعني ذلك أنه كان أقل من الآب في لاهوته ؟ أبداً البتة ! ففي (عدد 12) نجد إحدى عبارات " أنا هو " التي نطقها المسيح كثيرا ، والتي تؤكد لاهوته بما لا يعطي مجالاً للشك . وتحتوي (الأعداد 24 ، 28) أيضا على عبارة " أنا هو " ، على أن كل من يقرأ هذه الأعداد في عجلة وبدون تأمل فقد يفوته ملاحظتهما . ويختم هذا الأصحاح بالإعلان المذهل ليسوع المسيح الذي تأملناه قبلا وهو : " قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن " (وفي الإنجليزية تعني " أنا هو ")(عدد 58). لقد صدم هذا الإعلان الجهاري - عن لاهوت المسيح - اليهود ، فقد فهموا تماماً ما قاله يسوع، ووصلوا إلى حد اتهامه بالتجديف . وقد زاد رد فعلهم هذا من ثقل كلمات الرب يسوع التي كان قد نطق بها قبل قليل " وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي" (عدد 45) .

ويتكلم الرب يسوع مرة أخرى في (يوحنا 10 : 22 - 42) عن مجيئه باسم أبيه ، وعن حقيقة مجيئه ليخلص الذين هم له فقط ، لأن الآب أعطاه إياهم (أعداد 25 - 29) . وهو في العالم فقط لأن الآب أرسله (عدد 36) ، وهذه هي لغة الخضوع ، التي توضح توقير الابن للآب . ومع ذلك ، وفي نفس المقطع فكر اليهود مرة أخرى في قتله لإعلانه الجلي عن لاهوته (عدد 31).

لقد اتهموه بالادعاء بأنه الله (عدد 33) ، ولم يكونوا مخطئين ، فهذا بالضبط ما أعلنه يسوع ! فقد أعلن أنه يستطيع أن يفعل ما يمكن لله وحده أن يفعله (أي أن يعطي الحياة الأبدية عدد 28) . أيضا قال أنه - مثل الآب - لا يمكن لأحد أن يخطف الخراف التي له من يده (أعداد 28 - 29) .

لقد أعلن أنه ابن الله ، ومع ذلك فهو واحد مع الآب (أعداد 36 ، 30) . لم يكن يعني بهذا أنه واحد مع الآب بمفهومنا عن الابن البشري . فمع أن الابن البشري يعزي كل ما له لأبيه ، وهذا هو الحال مع ابن الله ، وأيضا الابن البشري شخص

منفصل بذاته عن أبيه ، وهكذا أيضا ابن الله ، إذْ نستخدم لفظ " شخص " عندما نتكلم عن أحد أقانيم الثالوث . إلا أنه ، لا يمكن للابن البشري أن يقول " إن الآب فيَّ ، وأنا فيه " (عدد 38 ، انظر أيضا يوحنا 14 : 10 - 11) . فالابن منفصل عن الآب والابن خاضع للآب إلا أن الابن واحد مع الآب ، وهو الله أيضا كما أن الآب كذلك . ليس هذا فقط، بل كل منهم في الآخر . وهذا هو سر الوجود الأزلي للابن. إنه سر ابن الله ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر (قانون الإيمان النيقوي) هذا هو السر الذي أدركه الرب يسوع دائماً .

ونحن لا يمكن أن نرى الرب يسوع في أي موقف بدون أن نراه مدركاً للاهوته (divine self - awareness) . ففي صلاته نجده يسر بإعلان هذه الحقيقة " كل شيء قد دفع إلي من أبي ، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب . ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له ؟ (متى 11 : 27). وفي تعليمه الجهاري ، أعلن أن من قال ضده كلمة فقد أخطأ وجدف ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان هو بالفعل الإله (متى 12 : 31 ، 32) . وهذه الإشارة الأخيرة لها وقع خاص جداً لأنها غير مباشرة ، وجاءت كجملة اعتراضية عندما كان الرب يسوع يركز على موضوع آخر . فهي توضح كيف كان إدراكه عميق الجذور نحو حقيقة ذاته .

ونستطيع أن نفهم الآن لماذا كان الرب يسوع المسيح يرضى ويسر بنسبته اللاهوتية ، لأنها كانت الحقيقة التي يعرفها هو جيداً . لقد بارك بطرس حين أقر قائلا " أنت هو المسيح ابن الله الحي " (متى 16 : 16) ، ورحب بإعلانه في (يوحنا6 : 68 - 69) " كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي " .

وليقين علمه أن أسفار العهد القديم قد وعدت بمجيء مسيا (أو المسيح حسب ما جاء في اليونانية) ، لم يتردد في قبول هذا النسب أو في إعلان ذاته أنه هو المسيا المنتظر (يوحنا4 : 25 ، 26) .

وكان لقب " ابن الله " الذي نطق به بطرس عن يسوع ، معروفاً جيداً لدى اليهود أنه يعني واحداً فقط هو الله . ويمكن توضيح هذه النقطة بما حدث في الليلة السابقة لصلبه . فقد استحلفه رئيس الكهنة قائلا " استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله " (متى 26 : 63) . وقد اعترف يسوع بأن هذه هي الحقيقة . ويخبرنا متى بما حدث بعدئذ " فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه " (متى 26 : 65) . كان رئيس الكهنة مقتنعاً تماماً بأن ما يقوله يسوع إنما هو تجديف لا محالة ، لأنه يعلم تماماً أن لفظ " ابن الله " هو لقب إلهي مقدس . وبطبيعة الحال لم يكن تجديفا بل الحقيقة التي رفض أن يصدقها رئيس الكهنة ومعه مجمع اليهود .

المبشرون به :

لكن لم تكن كل أصوات العالم القديم مناقضة لما أدركه المسيح عن نفسه. فقد ذكرنا فيما سبق ما قاله بطرس نيابة عن باقي التلاميذ بخصوص شخصية الرب يسوع - وكانت هناك أصوات أخرى سماوية وأرضية ، وحتى شيطانية ذكرت الحق عن شخصية المسيح .

أول هذه الأصوات ، كان صوت الملاك الذي أعلن ميلاد المسيا للرعاة ؛ بالقرب من بيت لحم قائلا " ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب " (لوقا 2 : 10 - 11) .

فمنذ البداءة ، لم يكن هناك أي لبس في شخصية ذاك الذي دخل إلى العالم عن طريق رحم العذراء مريم .

ذكرنا من قبل أن يسوع لم يبدأ خدمته الجهارية إلا بعد أن مهد يوحنا المعمدان الطريق أمامه . ولكن قبل ذلك بنحو ثلاثين عاماً ، لم يعلن الملاك جبرائيل فقط عن إرسالية يوحنا قبل ولادته بل أيضا عن ذاك الذي يأتي بعده .
" لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح

إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً " (لوقا1 : 15 - 17) .

عندما ولد يوحنا ، امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً " .. وأنت أيها الصبي ، نبي العلي تُدعى ، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه ، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم " (لوقا 1 - 76 ، 77) .

ولم يكن هناك مجال للبس أو لسوء الفهم ، فالشخص الذي كان على يوحنا أن يبشر به لم يكن سوى الله !

وما قاله كل من جبرائيل وزكريا كان واضحاً ليوحنا كل الوضوح . ولقد عرف دوره في نفس هذه الكلمات ، فلم يكن فقط الرسول الذي تنبأ له ملاخي، ولكنه كان أيضا تحقيقا لنبوءة اشعياء في (40 : 3) " صوت صارخ في البرية أعدُّوا طريق الرب . قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا " (انظر أيضا يوحنا 1 : 22 ، 23) .

كانت العادة في الشرق أن يسبق موكب الوجهاء نذير أو بشير ، وكانت مهمته الأولى أن يمهِّد الطريق أمام صاحب المقام الرفيع الآتي خلفه ، فلا يتعرض الأخير إلى السير في طرق وعرة غير مستوية . وكان يوحنا المعمدان يعلم تماماً أن الآتي بعده لم يكن سوى يهوه ذاته !

فلما جاء يسوع إلى نهر الأردن ، عرَّفه يوحنا بكل اليقين بأنه هو الشخص الذي سبق وتكلم عنه (يوحنا 1 : 29 - 30) .

فيسوع هو يهوه ! يسوع هو الله ! وكانت الألقاب التي خلعها يوحنا عليه " حمل الله " و " ابن الله " (يوحنا 1 : 29 ، 34) . وما كان واضحاً لكل اليهود كان واضحا ليوحنا ، فابن الله هو الله نفسه . لكن الابن ليس هو الآب ، فعندما عمَّد

يوحنا يسوع ، جاء صوت من السماء معلناً " أنت ابني الحبيب بك سررت " (لوقا 3 : 22) .

وهناك مناسبة أخرى أعلن فيها صوت من السماء شهادة لا لبس فيها عن شخصية المسيح ، الواقع انه كان هناك أكثر من صوت في هذه المناسبة ، حيث أشرق جسد الرب يسوع بنور سماوي ، وظهر مجد لاهوته . لقد تغير وجهه ، ولمعت ثيابه . هذه الأوصاف توضح تماماً أن هذا النور لم يكن خارجياً فقط كما من ضوء كشّاف مثلاً ، ولكنه تغيير داخلي . فالكلمات اليونانية التي استخدمها البشير في سرد هذه الواقعة ، توضح أن ثيابه انبعث منها نور مبهر يخطف الأبصار . وكما شهد كل من بطرس ويعقوب ويوحنا عن هذا التجلي المذهل ، أن صوتا من السماء أعلن أن " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت " (متى 17 : 5).

لقد أراد بطرس لهذا المشهد أن يبقى للأبد ، ولكنه لم ينل هذا . ولم يمكن أن تنمحي ذكرى هذه الحادثة من ذاكرة بطرس والآخرين أبدا . فبعد نصف قرن من الزمان ظل يوحنا يذكرها بخشوع ورهبة حين كتب يقول " .. ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب " (يوحنا 1 : 14) . ونحن نلمس الانطباع عميق الأثر لحادثة التجلي الذي تركته في بطرس ، في كلماته التي سجَّلها في رسالته الثانية " .. كنا معاينين عظمته . لأنه أخذ من الله الآب كرامةً ومجداً إذ قبل عليه صوت كهذا من المجد الأسمى هذه هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به . ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس " (2بطرس 1 : 16 - 18) .

لم يكن هناك شيء غير عادي في مظهر المسيح الخارجي يبرز لاهوته. فحادثة التجلي كانت حالة خاصة جداً ؛ ولم تحدث سوى مرة واحدة فحسب . فقد كانت فرصة لثلاثة شهود كي يروا ما أخفي عن الجميع . ولكن حجبها لا يغير من الحقيقة في شيء . فيسوع الناصري كان الله المتجسد !

وما كان مخفياً عن عيون البشر ، لم يكن كذلك بالنسبة لعالم الأرواح . ففي خلال خدمته الجهارية ، تقابل ربنا يسوع المسيح مع كثير من الرجال والنساء الذين

بهم أرواح نجسة ، لكنه لم يأت لهم كمجرد طارد للأرواح الشريرة كما كان واضحا للعيان . فاليهود الذين كانوا يقومون بهذه المهمة في تلك الأيام ، كان يعوزهم طقوساً طويلة معقدة ، أما الرب يسوع فقد فعل ذلك بكلمة واحدة ، حتى تعجب الجميع (مرقس 1 : 27) .

وبخروجهم ، أعلنت الشياطين جهاراً عن هوية ذاك الذي له تلك القوة الجبارة والأكيدة عليهم . ففي مجمع كفرناحوم صرخوا " ما لنا ولك يا يسوع الناصري ؟ أتيت لتهلكنا ؟ أنا أعرفك من أنت – قدوس الله " (مرقس1 : 24).

وخرج ذات الإعلان العجيب أيضا من بين شفاه مجنونَي كورة الجرجسيين " ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟" (متى 8 : 29) . ولكن الرب يسوع لم يرد أن يُعلَن مجده لعالم غير مؤمن بواسطة قوى الشر التي تحكمه ، وطالما أسكت إعلانهم هذا . فلابد للناس أن يدركوا هوّيته نتيجةً لبصيرة روحية مقترنة بروح التوبة ، وليس بسبب الصيحات المرتعدة لمثل هذه الأرواح النجسة التي تخشى أن يقوم عليها ذلك اليوم الذي فيه تواجه دينونتها الأخيرة .

كانت رسالة التلاميذ بعد قيامة الرب وصعوده مأخوذة من إعلان الملائكة المفرح ، والإعلان الجهاري للمعمدان ، والصوت السمائي المرهب ، واعتراف الأرواح النجسة المرتعبة والبغيضة. ثم يأتي بولس أصغر جميع الرسل، لكنه تعب أكثر من جميعهم ، فيكون أول حق يعلنه عن يسوع بعد تجديده أنه " هو ابن الله " و " أن يسوع هو المسيح " (أعمال 9 : 20 ، 22) . فلم يكن لديه أي شك أن الذي صُلب في أورشليم مؤخراً كان هو المسيا الموعود به وأنه شخصية إلهية .

فالشخص الذي وُلد ، وعاش ، ثم مات وقام ثانية ، كان ابن الله يسوع المسيح ربنا " الذي صار من نسل داود من جهة الجسد ، وتعيَّن ابن الله بقوةٍ من جهة روح القداسة ، بالقيامة من الأموات ... الذي به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان " (رومية 1 : 3 ، 5) .

فالتجسد يعني أن " الله ... أرسل ابنه في شبه جسد الخطية " (رومية 8 : 3). نعم ! " لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه ، مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبنِّي (غلاطية4 : 4 - 5).

فلم يفهم الرسل أن التجسد قد سلب اللاهوت الأزلي من ابن الله بأية حال من الأحوال ، أو انتقص من لاهوته في شيء . فلم يتصوروا هذا المنظر الوضيع للمسيح . فكانت الرسالة التي بشروا بها العالم هي التعاليم السامية الواردة في (عبرانيين 1 : 1 - 3) .

حياته :

لقد عاصر كل الرسل باستثناء بولس ، حياة الرب يسوع المسيح الأرضية وخدمته . فإذا ساورهم الشك في لاهوته ، فانه يكون لزاماً عليهم أن يرجعوا بأذهانهم إلى الوراء ليستعيدوا ما رأوه منه ، حتى يزول شكهم تماماً .

من هذا القبيل ؛ ألم يُظهر الرب يسوع المسيح كانسان ؛ صفات وسلطات يختص بها الله وحده ؟ على سبيل المثال لا الحصر ، كان واضحاً أنه كلّي المعرفة ، أي عالم بكل شيء . ففي مناسبات كثيرة قرأ ما يدور بخلد الناس من حوله (اقرأ متى 9 : 4 ، لوقا 6 : 8 ، يوحنا 1 : 47 و 2 : 24 ، 25 و 4 : 17 - 19) . وقد عرف منذ البداءة من كان مزمعاً أن يسلمه (يوحنا 6 : 70 - 71 و13 : 10 – 11) ، وتنبأ بتفاصيل موته وقيامته (متى 16: 21)، وأيضا إنكار بطرس له وتوبته (لوقا 22 : 31 - 34) . ألم تكن أفكار تلاميذه واضحة أمامه حتى حين كان بعيداً عنهم بالجسد ؟ (مرقس 9 : 33 ، لوقا 9 : 47)، وشكوك توما، حتى في غيابه عنهم بالجسد ؟ (يوحنا 20 : 24 - 29).

صفة إلهية أخرى ، ألا وهي حضوره في كل مكان . فمع أن الرب يسوع كان يُرى في مكان بعينه - ظاهرياً - لكن في مناسبات كثيرة ، أظهر كلامه غير ذلك . ففي إحدى الأمسيات ، وفي حديثه مع نيقوديموس ، أعلن أنه ليس فقط " نزل من السماء " لكنه أيضا " ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يوحنا 3 : 13) . فبشريته

الواضحة لم تمنعه من استمرار ممارسة قدراته وامتيازاته الروحية التي كانت له دائماً . وليس أقل عجباً وعده - وهو مازال بالجسد هنا على الأرض – أن يكون في وسط اثنين أو ثلاثة مجتمعين باسمه (متى 18 : 20) . وقد سمع تلاميذه من بين شفتيه وهو معهم وعده قائلا " وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر " (متى 28 : 20) . فمن الذي يستطيع أن يقول هذا، ويعد بكل ذلك غير الله ؟

لقد سبق وعلقنا على سلطان المسيح الإلهي في التعليم . وبذات السلطان أمر الرياح والأمواج فأطاعوه (مرقس 4 : 41) . لقد تكلم إلى العميان فأبصروا ، والصُم فسمعوا (متى 9 : 27 - 33 ، مرقس 7 : 34 ، 35) . وبكلمته مشى الكسيح ، وشُفى المرضى ، وحتى الموتى قاموا ! (يوحنا 5 : 8 - 9 ، لوقا 17 : 11 - 19 ، مرقس 5 : 41 ، 42 ، لوقا 7 : 14 ، 15 ، يوحنا 11 : 43 ، 44) . وأمجد الأشياء كلها أنه غفر الخطايا (مرقس 2 : 7 - 10 ، يوحنا 8 : 11) .

وقد برهنت هذه الكلمات والأعمال على هويته ، تماما كما قال يسوع (يوحنا 5 : 17 ، 21 ، 36) . وأدرك كل من سمع كلماته ورأى معجزاته أنه في حضرة الله (لوقا 5 : 25 ، 26 ، 7 : 16 ، 9 : 43) . ونرى في كل هذه الشواهد تعجب وحيرة وذهول الذين حوله ، ولكن ليس دائما ، فبطرس مثلا حين رأى احدى معجزاته الأولى ، كان شعوره بأنه في محضر الله قوياً إلى الدرجة التي خرّ فيها عند ركبتي يسوع قائلا " اخرج من سفينتي يا رب ، لأني رجل خاطئ ! " (لوقا 5 : 8) . وفي مناسبة أخرى جاء تلاميذه وسجدوا له قائلين : بالحقيقة أنت ابن الله " (متى 14 : 33) .

ولم يرفض " الإنسان " يسوع المسيح هذا السجود والإكرام مطلقا ، إذ قد علَّم قائلا " لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله " .

موته وقيامته :

كما أن حياته أكدّت على لاهوته ، هكذا أيضا فعلت أحداث الجلجثة والأربعين يوماً التي انقضت ما بين قيامته وصعوده الانتصاري إلى السماء .

وما رآه الذين شاهدوا صلب ربنا يسوع المسيح ، لم يسبق لأحد أن عاينه من قبل . عادةً ما يكون آخر ما يفعله الشخص المصلوب هو أن يرفع رأسه لأعلى ، في محاولة أخيرة للبقاء على قيد الحياة ، لإدخال اكبر قدر من الهواء إلى رئتيه . لكن الوضع كان مختلفاً بالنسبة ليسوع ، حيث أنه " نكس رأسه وأسلم الروح " (يوحنا 19 : 30) .

لقد نكس ربنا رأسه بإرادته ومات . كان هو وحده الذي حدَّد – بالضبط- اللحظة التي سوف يموت فيها . وحينما أتت هذه اللحظة ، اسلم حياته بكل خضوع للآب ، وبكل ثقة قال " يا أبتاه ، في يدك استودع روحي " (لوقا 23 : 46) ، ثم أحنى رأسه وترهل جسده بموته ، دون الهلع الذي يصيب عادة الناس الذين يموتون ، وهم يصارعون مصيرهم المحتوم .

ويمكن ترجمة كلمة " استودع " إلى " أقدم " أو " أسلم " . إن تسليم ربنا لروحه ، كان البرهان الواضح للكلمات التي قالها قبلاً لليهود " .. اضع نفسي لآخذها أيضا . ليس أحد يأخذها منى ، بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن اضعها ولي سلطان أن آخذها أيضا هذه الوصية قبلتها من أبي " (يوحنا 10 : 17-18) .

لقد أظهر موت المسيح على الصليب أنه لم يكن إنساناً عادياً - فبينما كان أخذ حياته منه حقيقة واقعة ، لكن هناك حقيقة أخرى أنه ما حدث كان بارادته. وقبل أن يسمح لأعدائه بالقبض عليه ، برهن على قوته الإلهية عندما كرَّر اسمه الالهي " إني أنا هو " ، مما جعلهم يسقطون على الأرض (يوحنا 18 : 1 - 11) .

ولكن عندما سمح لهم بالقبض عليه ، رفض بحزم أن يستخدم قدرته غير المحدودة كي يخلّص نفسه من الموت ، مع أنه كان في مقدوره أن يفعل ذلك في أي وقت . لقد اختار ان يموت موت الصليب .

ان العهد الجديد يتحدث بلا شك عن هوية ذاك الذي عُلق على صليب الجلجثة. ان العالم الشرير " صلب رب المجد " (1كورنثوس 2 : 8) . انه الشخص الذي اشترى كنيسته " بدمه كان هو الله " (اعمال 20 : 28) . " الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه " (2كورنثوس 5 : 19) . فلاهوت يسوع المسيح ثابت حتى في لحظات موته . ان الذي مات لم يكن الله الآب ، ولا الله الروح القدس ؛ برغم ذلك كان الضحية الله ، الله الابن (عبرانيين 1 : 1 - 3) . فلم يسلب الموت - بأية حال - من هويته ، " مع كونه ابنا تعلّم الطاعة مما تألم به " (عبرانيين 5 : 8) . فجوهر الايمان الشخصي أن أتطلع إلى الجلجثة وأعلن أن " ابن الله .. الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي " (غلاطية 2 : 20) .

إلا أن قيامة ربنا يسوع أعطت دليلاً أقوى على لاهوته . لقد سبق له ان تنبأ بها ، فلو لم تحدث لكان قد فقد مصداقيته للأبد كمخلّص وكابن الله . ولكنها حدثت بالفعل ! فكل محاولات انكار حقيقة صدقها ، انما تنبع من عدم الايمان بقدرة الله الخارقة للطبيعة ، وليست نتيجة الفحص الموضوعي لبرهانها المقنع تماما.

فقيامة المسيح تقف على صفحات التاريخ كحقيقة مصدّق عليها ولا تُنقض .

إن اقامة الله للمسيح من الموت ؛ هو إعلان واقرار من الله أنه ابنه ؛ إنها العمل الذي وضع التصديق الإلهي على الوهية ربنا (رومية1 : 4) . وطوال حياة ربنا على الأرض كان يعلن أنه ابن الله ، إلا أن اعداءه طالما رفضوا هذا الاعلان. وحين كرّر إعلانه بقسم ، ما كان من اليهود إلا أنهم اتهموه بالتجديف ، ودفعهم ليحكموا عليه بالموت (متى 26 : 63 ، 64) . وبعد صلبه حصلوا على إذن من بيلاطس البنطي بختم قبره وبوضع الحرس عليه ، إذ أنهم تذكروا قوله حين كان بينهم " إني بعد ثلاثة أيام أقوم " (متى 27 : 62 ، 66) . لقد تركت كلمات يسوع

في أذهانهم انطباعاً عميق الأثر ؛ وحثتهم على طلب حراسة قبره بالجنود . إنهم ارادوا بالطبع أن يبرروا طلبهم بقتله كمضلٍّ ، وربما عزموا على فحص جثمانه بعد اليوم الثالث للتأكد من إستمرار وجوده في القبر ، إمعانا في تحقيره والسخرية من تابعيه من الرجال والنساء الذين أصابهم الحزن .

لقد فرح أعداء المسيح بموته ، ولكن فرحهم لم يدم كثيرا. فالبرغم من كل مقاومة ؛ أقام الله ابنه من الموت ، وكانت قيامته شهادة قوية من السماء أنه حقاً كان صادقا في كل ما قاله عن نفسه ، وليس مضلاً . لقد ثبتت مصداقيته في كل ما أعلنه ، ولم يعد هناك مجالاً للشك في لاهوته . فبنوته لله كانت السبب في قيامته ، وكانت قيامته هي البرهان الأسمى على بنوته .

أظهر ربنا يسوع نفسه حياً لتلاميذه المرتعبين ، الذين اجتمعوا وراء أبواب مغلقة . إن موته هز إيمانهم فيه ، ولكن رؤيتهم له سرعان ما أرجعت إيمانهم . إلا أن أحدهم وهو توما لم يكن حاضراً عندئذ ، ولم يكن في مقدوره أن يصدق ما قاله الآخرون عن رؤيتهم للرب ، وكان رد فعله المتسرع " إن لم أبصر في يديه أثر المسامير ، وأضع أصبعي في أثر المسامير ، وأضع يدي في جنبه ، لا أومن" (يوحنا 20 : 25) .

ويخبرنا يوحنا عن تسلسل الأحداث اللاحقة . وبعد ثمانية ايام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم . فجاء يسوع والأبواب مغلّقة ، ووقف في الوسط وقال : " سلام لكم " . ثم قال لتوما " هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعها في جنبي ، ولا تكُن غير مؤمن بل مؤمناً " . اجاب توما وقال له " ربي وإلهي ! " . (يوحنا 20 : 26 - 28) .

لم يرفض الرب يسوع هذا الاعتراف المذهل الذي خرج من بين شفتي توما . لم يقل أن سجوده له كان تجديفاً ، وأن السجود لا يكن إلا لله وحده . لقد تقبَّله تماماً ؛ وكان ردُّه عليه " لأنك رأيتني يا توما آمنت ! طوبى للذين آمنوا ولم يروا " (يوحنا 20 : 29) . لقد أوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنه لكي تكون مؤمناً يعني

الايمان بلاهوته . ولازالت كلمات توما " ربي وإلهي " هي الاعتراف المحبَّب من المؤمنين الحقيقيين إلى يومنا هذا . إن الرب يسوع وموضوع إيمانهم، فهم يخلصون بالايمان به (اعمال 16 : 31) . فهم يعرفون أنه " الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تيطس 2 : 13) .

لكن ظهورات ربنا يسوع المسيح لتلاميذه لم تكن لتستمر على الدوام ، فيسجل العهد الجديد ما حدث في الاربعين يوماً التي تلت قيامته " وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم ، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء " (لوقا 24 : 50 - 51) ، " ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون . وأخذته سحابة عن أعينهم " . (اعمال 1 : 9) ، " ثم إن الرب بعد ما كلَّمهم ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله " (مرقس 16 : 19) . كانت هذه الحادثة المدهشة تحقيقاً لنبوات عديدة سابقة .

ولقد قال ربنا نفسه " ماذا لو رأيتم ابن الانسان صاعداً إلى حيث كان أولاً ؟ " (يوحنا 6 : 62) ، " ... أمضي إلى الذي أرسلني " (يوحنا 7 : 33). وقبل هذا بألف عام ، كتب داود ، كاتب المزامير ، عن المسيا قائلا " صعدت إلى العلاء .. قبلت عطايا بين الناس " (مز 68 : 18) ، (انظر أيضا افسس 4: 8).

قصد من ظهورات الرب يسوع فيما بعد القيامة ، اقناع تلاميذه بأنه قد غلب الموت ، وايضا للتصديق على إعلانه للاهوته. وقصد من صعوده أن يبين لهم ألا يتوقعوا المزيد من هذه الظهورات ، فكيف يظل فيما بينهم على الأرض بجسد قيامته ؟ لابد أن يصعد ، ولكن في مجد ، ليس بالموت مرة أخرى .

لقد كان مشهد انطلاقه لائقاً به ، في ضوء مجيئه المعجزي لعالم البشر وفي ضوء المعجزات التي صنعها منذ ذلك الوقت .

فضلاً عن ذلك ، فعطية الروح القدس لكنيسته كانت متوقفة على صعوده الممجَّد (يوحنا 7 : 37 - 39) .

لقد أعطى صعود المسيح لشعبه التأكيد التام أن العمل الذي جاء من أجله قد تم على أكمل وجه بحسب ما يشبع قلب أبيه. لقد صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

وبقى في المشهد الآن الرب يسوع متسلطاً على كل شيء، كلّي القدرة ، كلّي السلطان على كل الكون . هو هناك لأن هذا هو مكانه وحقه . مَن مِنا الآن يشك في أن من جاء بيننا هو الله نفسه ؟ فمن غير الله الذي يمكنه أن يجلس على عرش الله ويمارس قوات الله ؟ فالعجيب هنا أن الله الجالس على عرشه يفعل ذلك كانسان !

لقد صعد المسيح من منحدرات بيت عنيا إلى السماء ، وبمجرد دخوله هناك قامت بتحيته أراوح الملائكة و " ارواح الأبرار المكمَّلين " (عبرانيين 12 : 23) . " ارفعن أيتها الارتاج رؤوسكن ، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد ؟ الرب القدير الجبّار ، الرب الجبّار في القتال. ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن ، وارفعنها ايتها الأبواب الدهريات ، فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد " (مزمور 24 : 7 -10) .

إنـه الله – اليوم وإلى الأبد

تماماً كما ظل ربنا يسوع المسيح بطبيعته الإلهية حين كان إنسانا ، هكذا ظل هو الله ذاته حين رجع إلى السماء ، برغم رجوعه بطبيعته البشرية التي لم يتخذها إلا عندما أتى إلى العالم . هو الله الآن ، وسيظل كذلك إلى الأبد ، وهذا هو موضوع الفصل الحالي من هذا الكتاب .

نجد هذه العقيدة في كل كتاب من كتب العهد الجديد ؛ وتكرر مراراً ، إما بالتأكيد المباشر ، أو المفهوم ضمناً . ويمكن لأي قارئ مُنصف أن يرى ذلك بنفسه . ومقدار هذه الأدلة والبراهين هائل ، وهي منسوجة باتقان شديد في نسيج العهد الجديد ، حتى إننا لا نحتاج شيئاً سوى تقديم أمثلة عامة لهذه الأدلة إنه الله السرمدي ، لقد كان الله حين جاء بيننا ، وهو الله اليوم وإلى الأبد . وفي الحقيقة كيف يتسنى لمن كان الله دائما أن يُكف عن أن يكون كذلك؟ إن الفكرة ذاتها غير معقولة ، بل محالة . فالذي هو الله سوف يظل هكذا إلى الأبد. ولكن العهد الجديد اهتم بأن يقدم لنا حقيقة لا يمكن أن تُغفل ، ولم يتركنا نصل إلى النتيجة الواضحة بعد تفكير وتأمل عميق ، بل هو يقرر الحقيقة بجلاء تام .

فقرتان أساسيتان (مفتاحيتان) (Two Key Paragraphs) .

بخصوص هذا الموضوع ، وكنقطة للبداية ، دعنا نرجع لإحدى فقرات العهد الجديد ، والتي استشهدنا بها مرات عديدة من قبل : -

عبرانيين 1 : 1 - 3 : لماذا لا تفتح كتابك المقدس مرة أخرى على هذه الكلمات الرائعة ، كي تتأمل فيها من جديد ؟

بعد أن أخبرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن كلمات الله للعالم بلغت ذروتها وختامها في ابنه ، ينتقل للحديث عن سبع حقائق رائعة عنه . فالمسيح هو الوريث والمصالح للعالم . وبه صنع الله العالمين .

هو أيضا بهاء مجده - الذي يشرق بمجد الله ، ليس انعكاساً له ، ولكنه إشراق ذاتي . إنه رسم جوهر الله وهو يُظهر الله تماما ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . إنه هو الذي صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا ، ويجلس الآن عن يمين العظمة الإلهية في الأعالي .

يخبرنا الرسول في هذه الأعداد عن شخص المسيح وكيانه وماذا عمل . والآن ، هو يجلس على عرش الله كإنسان ولا يزال هو بهاء مجد الله ورسم جوهره . وتواضعه الذي ظهر ، سواء في تجسده أو في عمله الكفاري ، لم يُعق صعوده المجيد إلى السماء التي جاء منها .

ولم يحدث أي تغيير في طبيعته ، فقد ظل السيد المسيح كما كان عندما عمل العالمين . وإذا تأملنا في الألقاب التي أطلقت عليه ، فاننا نرى جيداً أنه لا يمكن استخدامها إلا لله وحده . فالرب يسوع الذي هو إنسان الآن وإلى الأبد، لا يزال هو الله .

والفقرة الأساسية الأخرى نجدها في (افسس 4 : 7 - 8).

يتعرض بولس هنا لنقطة هامة ، وهي أن المسيح الذي صعد إلى السماء، أعطى مواهب مختلفة ومتعددة لكل مؤمن في الكنيسة . ولكي يدعم هذا التأكيد، اقتبس ما قيل في (مزمور 68 : 18). ولم يكن لبولس أن يفعل ذلك إلا بسبب يقينه أن كلمات هذا العدد من المزمور ؛ إنما هي عن الرب يسوع المسيح .

وبدراسة دقيقة متأنية لمزمور 68 : 18 ، يتضح أنه احتفال بوصول تابوت الرب إلى أورشليم . ولأورشليم مكانة فريدة على الأرض ، ليس لأن جبل صهيون الذي فيها أعلى من كل الجبال ، ولكن لسموها الروحي إذ أنها أُختيرت مكاناً لسكن الله . ويوضح هذا العدد من المزمور أنه بعد هزيمة حصن الأعداء ، صعد يهوه نفسه إلى جبل صهيون ليشارك شعبه في الغنيمة .

ويرى بولس أن هذه الكلمات لها تطبيق أسمى في صعود المسيح . لقد صعد إلى السماء ليجلس على كرسيه ويسود على الجميع ، من هناك يوزع الهبات على كنيسته . ولا يرضى بولس بأقل من لغة التمجيد هذه حين يذكر الرب يسوع المسيح وهو في السماء ،

ولم يدر بخُلده ولو للحظات أن المسيح - وهو كانسان في السماء - في مرتبة أقل من الله . فالمزمور الذي يتحدث كله عن شخص الله فقط، ينسبه بولس إلى المسيح . فالتفكير في لاهوت المسيح الذي صعد إلى السماء يعتبره بولس أمراً طبيعياً جداً كالتنفس .

ويوجد في العهد الجديد العديد من الفقرات المماثلة للفقرتين السابق ذكرهما . فالمسيح هو الله الآن وإلى الأبد . ولكن لمزيد من التوضيح لهذا الحق ، دعنا نتَّبع أربعة خطوط للتفكير في هذا الموضوع حسب ما فعل الكتاب لقرون عديدة . ان هذه الخطوة مماثلة تماماً لطريقة توضيح أن المسيح هو الله منذ الأزل ؛ وهي ليست أقل اقناعا بسبب ذلك . فليس فقط بالاستشهاد بلاهوته الأزلي ، أو بالاستشهاد بسني حياته عندما كان على الأرض ، ولكن اليوم - وفي الوقت الحالي - يقول الوحي في العهد الجديد عن المسيح أنه الله، وينسب إليه صفات الله ، ويبين أنه يعمل أعمال الله ، أيضا يعلّمنا أنه يستحق العبادة والإكرام الذي يستحقه الله وحده . مرة أخرى دعنا نتبع هذه الخطوط الأربعة تباعاً .

الأسماء والألقاب :

استشهدنا في الفصل السابق بما جاء في (عبرانيين 1 : 1 - 3) والذي ينتهي بالإشارة إلى صعود المسيح ومكانه حالياً .

وإذا واصلنا القراءة في هذا الاصحاح ، سنكتشف أن كاتبه ينتقل مباشرة إلى النقطة التي فيها كلمات تنسب (مزمور 45 : 6 ، 7) إلى المسيح . " كرسيك يا الله إلى دهر الدهور " (عبرانيين 1 : 8) . فالمسيح يسوع الآن في أسمى مكانة، حيث يُدعى الله .

إنه المسيح الأزلي ، الذي صعد والذي يدعوه بولس " إلها مباركاً إلى الأبد " (رومية 9 : 5) ، " ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى . الإله الحكيم وحده" (1تيموثاوس 1 : 17) ، " .. الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تيطس 2 : 13) ، " فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً " (كولوسي 2 : 9) .

وبالنسبة لبطرس ، فهو يكتب عنه بعد صعوده " إلهنا والمخلص " (2بطرس 1 : 1) . وبالنسبة ليهوذا هو "الاله الحكيم الوحيد مخلصنا " (يهوذا 5) وبالنسبة ليوحنا " الإله الحق والحياة الأبدية " (1يوحنا 5 : 20) .

لابد أن نلاحظ أنه ليس فقط هؤلاء الذين كتبوا هذه الإعلانات العجيبة المذهلة عن الرب الذي صعد ، لكن الرب يسوع أعلنها بنفسه . فبعد صعوده ، أعلن ذاته ليوحنا وهو منفي في جزيرة بطمس في هذه الكلمات " أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية .. يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي ، القادر على كل شيء " (رؤيا 1 : 8) .

بالإضافة إلى هذه الإقرارات الواضحة ، يستمر استعمال اللقب الإلهي " الرب " مشيراً ليسوع المسيح بعد صعوده . فميلاد الكنيسة المسيحية في ملء العهد الجديد تم بالتأكيد الكامل على ربوبية المسيح . " لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول : قال الرب لربي : اجلس عن يميني . حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم ، رباً ومسيحاً " (أعمال 2 : 34 - 36).

والإيمان بربوبية المسيح ؛ أمرٌ أساسي وجوهري جداً في مفهوم العهد الجديد عن هويته ، حتى أنه يعلّم بوضوح أنه لا يمكن لأحد أن يصبح مسيحياً حقيقياً إلا إذا اعترف بهذه الحقيقة (1كورنثوس 12 : 3) . برهنَّا في صفحات سابقة في الفصل الأول أن " الرب " هو لقب إلهي ، وقد تأكد مجدداً هذا البرهان بكلمات بولس في (1كورنثوس 8 : 4 - 6) . " نعلم أن ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلاّ واحداً . لأنه وإن وُجد ما يسمَّى آلهة ، سواء كان في السماء أو على الأرض ، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون . لكن لنا إله واحد ؛ الآب الذي منه جميع الأشياء ، ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح ، الذي به جميع الأشياء، ونحن به " .

وليس من السهل دائماً إدراك قصد بولس هنا . فهو يقول أنه مع أن المؤمنين يعرفون أنه يوجد إله ورب واحد ، فإن الوثنيين يظنون أن آلهتهم المتعددة حقيقية ، ولابد من مقاومة هذا الخطأ . فليس هناك آلهة كثيرة وأرباب كثيرون (ب . ب . وارفيلد) ، إنما إله واحد

الآب ورب واحد يسوع المسيح. ولا تسمح لنا لغة بولس أن نعتبر أنه يقصد انهما إلهان منفصلان ، فليس هناك إلاّ إله واحد ، فاللاهوت يختص بالرب يسوع المسيح كما بالآب تماماً .

ويأتي نفس هذا المعنى واضحاً في (رومية 10 : 11 - 15) ، حيث يوضح بولس أن نوال الخلاص ، سواء لليهودي أو للأممي ، لا يتم إلا بالإيمان بالمسيح . وفي هذا السياق يكتب " لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص " (عدد 13) .

وواضح تماماً أنه يقصد يسوع المسيح بكلمة " الرب " . وبنفس الوضوح فان هذا العدد مقتبس مما جاء في سفر يوئيل 2 : 32 ، حيث ترجمت كلمة " الرب " الموجودة في كتبنا المقدسة من الكلمة العبرية " يهوه " . ويبدو بولس شديد الصلابة في أن من يدعو " يهوه " تماما كالذي يدعو المسيح لانهما واحد، ولا يوجد في ذهنه شك في ذلك . فلقب " الرب " لقب إلهي مقدس وينسب بدقة إلى المسيح . ومن الصعب أن نرى أحداً يخامره أدنى شك في هذا . ولكن لو ظهرت ثمة شكوك مثل هذه فلابد انها تُقشع وتُزال أمام (عدد 15) ، حيث يعرِّف بولس التبشير بانجيل المسيح مع الرسالة الواردة في اشعياء 52 : 7 " قد ملك إلهك ! "

وبنفس الطريقة استُخدم لقب " ابن الله " ونُسب إلى المسيح بعد صعوده . وكما رأينا فإقرار لاهوت المسيح كان الرسالة الأولى التي بشَّر بها الرسول بعد تجديده (أعمال 9 : 20) ، وكانت أحَّب الأساليب إليه للحديث عن مخلصه فيما بعد (على سبيل المثال ، انظر غلاطية 2 : 20) . واستخدم هذا اللقب بواسطة كاتب رسالة العبرانيين ، حيث يشجِّع قرَّاءه أن يستفيدوا من شفاعة المسيح الحاضرة كرئيس كهنتنا الأعظم (عبرانيين 4 : 14 - 16) .

كما استخدمه يوحنا مراراً وتكراراً حين تكلم عن الاختبار الحاضر للمؤمن في المسيح (1يوحنا 5 : 1 - 13) . فمهما كانت الشكوك حول شخص الرب يسوع المسيح هذه الأيام ، فشهادة العهد الجديد عنه لا لبس فيها ولا غموض. فقد كان هو الله أثناء وجوده في وسطنا ، كما أنه هو الله الآن !

الصفات :

يعلّمنا العهد الجديد أن يسوع دعى الله بعد صعوده ، كما أن كل صفات الله وخصائصه إنما هي منسوبة إليه دائماً وأبداً .

* **فبالنسبة لحدود المكان : -** نعلم أن الله موجود في كل مكان (1ملوك 8 : 27 ومزمور 139 : 7 - 10) ، ولكن في تجوالنا في العالم كله لنشر الإنجيل، فإننا نتشجع بسماع كلمات المسيح " ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر " (متى 28 : 20) . ويبدو حضوره في كل مكان واضحاً في وعده المتجدّد ؛ أنه يوجد حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه (متى 18 : 20) . وأيا من كان محباً للمسيح وحافظاً لكلامه ، سوف يختبر حضور المسيح معه (يوحنا 14 : 23) . وكل مؤمن ، أينما وجد في أي بقعة من العالم ، يعلم يقيناً أن المسيح في قلبه (افسس 3: 17) . وسوف نرى آجلاً أنه مع أن المسيح ليس حاضراً بطبيعته الجسدية في كل مكان ، إلا أن ذلك لا ينفي مطلقاً من الاتصاف بأنه كلّي الوجود ، أي موجود في كل مكان .

* **وبالنسبة لحدود الزمن : -** فالله أزلي(اشعياء 40 : 28، حبقوق 1 : 12). نقرأ في (اشعياء 44 : 6) حيث يؤكد يهوه عن نفسه بقوله " أنا الأول والآخر"، إلا أن المسيح أيضا يقول عن نفسه في سفر الرؤيا " أنا الألف والياء، البداية والنهاية ، الأول والآخر " (رؤيا 22 : 13 ، انظر أيضا 1 : 11) . فيهوه أزلي وكذلك يسوع أيضا . وواضح أن يسوع هو يهوه ، إنه الله.

ونقرأ في سفر الرؤيا 11 : 17 أن أولئك المحيطين بعرش الله وقفوا يقولون " نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء ، الكائن والذي كان والذي يأتي " . ولكن بمقارنة هذه الكلمات بما جاء في نفس السفر والاصحاح 1 : 8 على لسان الرب يسوع المسيح وهو يتكلم عن نفسه ، نلاحظ تطابق الكلمات تقريباً. إذاً فالمسيح المقام هو الله !

**** الله لا يعتريه تغيير أو ظل دوران :***

فلم ولن يعتريه أي تغيير ، إنه دائماً هو هو (ملاخي 3 : 6 ، يعقوب 1: 17) . وكما تنطبق هذه الحقيقة على الله فهي أيضا تنطبق على المسيح يسوع، إذ أن " يسوع المسيح هو

هو أمساً واليوم وإلى الأبد " (عبرانيين 13 : 8) . وكما كان قبل خلق العالمين ، لا يزال هو الآن ، وسوف يظل كذلك أيضا بعد زوال هذا العالم ، إذ يقول كاتب العبرانيين " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك . هي تبيد ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير . ولكن أنت أنت ، وسنوك لن تفنى " (عبرانيين 1 : 10 - 12) .

**** أما بالنسبة لحدود المعرفة :***

فالله يعلم بكل شيء (مزمور 139 : 2 - 5، 1يوحنا 3 : 20) . ولكن لا يوجد ما هو خافٍ عن المسيح أيضا ، فقد طرقت هذه الحقيقة سبع مرات حين أرسل رسائل إلى كنائسه السبع – بعد صعوده – فبعد الإشارة إلى ألقابه الإلهية ، تعلن كل رسالة هذه الحقيقة الجليلة " أنا عارف أعمالك " (رؤيا 2 : 2 ، 9، 13 ، 19 ، 3 : 1 ، 8 ، 15) . من سوى الله نفسه يستطيع أن ينطق بهذه الكلمات ؟

**** وبالنسبة لحدود القوة :***

فإن الله يصنع ما يشاء (مزمور 135 : 6 ، دانيال 4 : 35) ، وهكذا يسوع المسيح أيضا . إنه " القادر على كل شيء " (رؤيا 1 : 8) إنه " حامل كل الأشياء بكلمة قدرته " (عبرانيين 1 : 3) ، " فيه يقوم الكل " (كولوسي 1 : 17) . فلا عجب أنه يدعى " ملك الملوك ورب الأرباب ! " (رؤيا 19 : 16، 1تيموثاوس 6 : 13 - 16) . وبسبب قوته التي لا تحد ، تيقَّن بولس أنه سيصل في النهاية إلى السماء (2تيموثاوس 4 : 18) . نعم ! فيسوع المسيح قادر أن " يخضع لنفسه كل شيء " (فيلبي 3 : 21) . ويقسم يهوه في سفر اشعياء 45 : 23 فيقول " إنه لي تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان " . وبالمثل يتعهد العهد الجديد أنه سوف " تجثو باسم يسوع كل ركبة ...... ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب ..." (فيلبي 2 : 10 - 11) .

هل الله قدوس ؟ نعم وبطرس يعلم ذلك يقيناً ، وبكل سرور ينسب مزمور 16 إلى المسيح ويدعوه " قدوس " (أع 2 : 27) .

هل يمكننا أن نقول مع دانيال عن الله " ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد ، لأن له الحكمة والجبروت " (دانيال 2 : 20) ، لكن يمكننا أيضا أن نقول عن يسوع " الإله الحكيم الوحيد مخلّصنا (يهوذا 25) ، " الإله الحكيم وحده " (1تيموثاوس 1 : 17) ، " المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم " (كولوسي 2 : 3) . وهكذا نرى مراراً وتكراراً أن ما هو حق عن الله وحده ، هو حق عن يسوع الآن ! وما قيل عن يهوه وحده ، قيل أيضا عن يسوع .

وهكذا يرسخ في نفوسنا - مرة بعد الأخرى أن يسوع هو يهوه ! يسوع هو الله !

الأعمال الإلهية :

خلال حياته على الأرض - أعلن يسوع أن كل شيء قد دُفع إليه من أبيه (لوقا 10 : 22 ، يوحنا 3 : 35) . ولا يمكن أنه كان يعني أن هذا الكلام ينطبق على سني حياته القصيرة على الأرض فقط ، إذ أن العهد الجديد يؤكد هذه الحقيقة عنه الآن . الواقع أن كلمات المسيح الوداعية ؛ تذكّرنا إنه لا يوجد مكان خارج عن سلطانه (متى 28 : 18) ، فكل شيء قد أُخضع تحت قدميه (افسس 1: 22) ، ولا يمكن أن يحدث شيئاً بغير إرادة المسيح (افسس 1 : 11) . كل هذه الأمور هي أعمال وامتيازات إلهية ، ومع ذلك فهي تتم بواسطة المسيح !

فمن يستطيع أن يغفر الخطايا إلا الله وحده ؟ لقد كتب بولس إلى أهل كولوسي " كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضا " (كولوسي 3 : 13) ، ولم يصبح الكولوسيون مسيحيين إلا بعد زمن طويل من صعود المسيح إلى السماء. لم يروه أو يتقابلوا معه في الجسد ، ولكن ما يمكن لله وحده ان يعمله لهم ، عمله لهم المسيح الذي صعد !

ومن غير الله يستطيع أن يعطي الحياة الأبدية ؟ ولكن المسيح قالها صراحة أن كل من أُعطى الحياة الأبدية ، إنما وهبت له عن طريق الرب يسوع (يوحنا 10 : 28) . وبقوته يجعل الرجال والنساء أحياء روحياً (يوحنا 5 : 21 ، 25 - 27) .

فلا يمكن لأي منا أن ينال اختباراً روحياً حقيقياً في حياته إلا بيسوع المسيح . إنه هو الذي يرسل الروح القدس (يوحنا 16 : 7 ، أعمال 2 : 32 - 33) ، وبواسطته وحده يتقدس أعضاء الكنيسة المسيحية (افسس 5 : 25 - 26). ولكن الرب لا يقيم الناس فقط لقيامة روحية . لقد كان الأمر متعلقاً بقيامة الجسد حين قال " أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد " (يوحنا 11 : 25 - 26) . ولكن هل نؤمن أن أحداً غير الله يمكن أن يقيم الموتى ؟ لم يتردد بولس في أن يكتب " فان سيرتنا نحن في السماويات ، التي منها أيضا ننتظر مخلّصناً هو الرب يسوع المسيح . الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ، بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء " . (فيلبي 3 : 20 - 21) .

ولئلا يُظن أن قدرته على إقامة الموتى مقصورة على أجساد المؤمنين ، دعونا نتذكر ما قاله هو نفسه " تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " (يوحنا 5 : 28 - 29) .

وفيما بعد القيامة ، فإن المسيح هو الذي سيدين العالم . فقد كتب سليمان " لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة ، على كل خفي ، إن كان خيراً أو شراً" (جامعة 12 : 14) . ولكن العهد الجديد يؤكد على أنه " لابد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً " (2كورنثوس 5 : 10) ، ويؤكد أن " الذي يحكم فيَّ هو الرب " (1كورنثوس 4 : 4) ، والدراسة الدقيقة لهذا العدد السابق تثبت إثباتا حاسما - أن " الرب " المقصود هنا هو الرب يسوع المسيح .

إنه سيأتي ثانية في مجد ، وسيقف أمامه رجال ونساء من كل الأمم . وكقاض ملكي سيميزهم عن بعضهم البعض ، كما يميّز الراعي الخراف عن الجداء (متى 25 : 31 - 46) . لن يتخلف أحد ، فلابد أن نقف كلنا أمامه . ولئلا ننسى من هو - بالتحديد - المسيح الذي سوف نظهر أمامه ، يضع الرسول هذا الحق في (رومية 14 : 12) " فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله " .

صحيح أن " المعيَّن من الله ديَّاناً للأحياء والأموات " هو إنسان (أعمال 10 : 42، 17 : 31) ، وصحيح أيضا أن هذا الإنسان هو الرب يسوع المسيح (2تيموثاوس 4 : 1) . ولكن غير الصحيح أن الديَّان الآتي للقضاء هو إنسان فقط. إنه ابن الله الوحيد ، الذي له السلطان أن يخلِّص ، وله السلطان أن يدين أيضا (يوحنا 5 : 22 ، 28 - 29) . وحتى العصاة سوف يدعونه " يا رب " في ذلك اليوم (متى 7 : 21 - 23) . لن يخفي مجده في ذلك اليوم الرهيب (2تسالونيكي 1 : 7 - 10) . وسوف يعمل ما يعمله الله فقط . سيدين العالم بالعدل ، وعندئذ لن يبقى كائن على وجه الأرض مستمراً في شكّه في لاهوته .

بعدئذ ، سيأتي الانحلال النهائي للكون كما نعرف كلنا ، وتجديد كل شيء. سيطويها المسيح كرداء ويغيرها كثوب . ولكنه سيبقى هو هو ولا يتغير (عبرانيين 1 : 12) . ونظل نتفرَّس في السموات الجديدة والأرض الجديدة ، ونسمع صوته من فوق عرش الله " ها أنا أصنع كل شيء جديداً ! " (رؤيا 21 : 5) .

**** العبادة التي لله :***

مادام يسوع هو الله فليس من الخطأ عبادته . ويعلّمنا الكتاب المقدس أن السجود للمسيح ليس أمراً جائزاً فقط (كما فعل توما ، مثلا ، بعد قيامته) ، بل هو واجب علينا أن نسجد له ونعبده .

فهذا السجود يُقدّم له في السماء على الدوام . وقيل عن الرب يسوع " لتسجد له كل ملائكة الله " (عبرانيين 1 : 6) ، وهم يفعلون ذلك ، فربوات الملائكة تحيط بعرشه صارخين " مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة ، والقوة والكرامة والمجد والبركة ! " (رؤيا 5 : 12) . ويشترك شعبه في الأرض مع هذه الكائنات المجيدة ، قائلين " الذي أحبَّنا وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه ، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين . آمين " (رؤيا 1 : 5 ، 6) .

وبسبب عبادة المؤمنين وسجودهم للمسيح ، فقد عُرفوا بأنهم " الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح " (1كورنثوس 1 : 2) . وهم يفعلون ذلك لأن الله يريد أن " يكرم الجميع

الابن كما يكرمون الآب " (يوحنا 5 : 23) ، ولا يمكن أن ينسوا أن " كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا ، ومن يعترف بالابن فله الآب أيضا " (1يوحنا 2 : 23) .

من أجل هذا ، فان استفانوس في اللحظات التي سبقت موته رفع صلاته إلى المسيح الذي في السماء (أع 7 : 59 ، 60). ولأجل ذلك أيضا رفع الرسول بولس صلاته إلى المسيح بغير تحفظ ، وحث الجميع أن يحذوا حذوه (مثلا في رومية 10 : 12 – 14 ، 2كورنثوس 12 : 8) ، ويقدم ذلك على انه جوهر الإيمان (غلاطية 2 : 16 ، افسس 1 : 15 ، فيلبي 3 : 8) .

ولأجل ذلك أيضا ، وطالما بقى العالم ، فالمتجددون لابد أن يعتمدوا باسم الابن ، علاوة على اسم الآب والروح القدس (متى 28 : 19) .

ولأجل ذلك أيضا ، وعندما يمنح الرسول بولس البركة لقرائه ، يستحضر نعمة ربنا يسوع المسيح ، بالإضافة إلى محبة الله وشركة الروح القدس (2كورنثوس 13 : 14) . فالرب يسوع المسيح هو الله بنفس قدر الأقنومين الآخرين .

ولكن يوجد - في الوقت الحالي - الكثير من الرجال والنساء الذين يرفضون السجود للمسيح ، علاوة على عدد لا نهائي من الشياطين ، الذين يقفون في تمرد علني ضده . والمسيح له " اسم فوق كل اسم " (فيلبي 2 : 9)، لكنهم لا يعترفون بذلك . إلا أنه سوف يأتي اليوم الذي سيعترف فيه كل لسان بسلطان المسيح . وهذا لا يعني أن كل الكائنات سوف تخلص ، فهذا ما لا يعلمه الحق الكتابي - ومع ذلك - أرادوا أو لم يريدوا - ستشترك كل الخليقة في إعطاء الكرامة والمجد للمسيح ، وسوف يدعونه باسمه الإلهي . فهناك حكم إلهي أكيد بأنه سوف " يعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب " (فيلبي 2 : 11) . فسوف تتفق كل الخلائق التي وجدت على سطح الأرض على الحق الخاص بلاهوت المسيح .

**** صعوبة شائعة :***

إن تعليم بولس في رسالته إلى أهل فيلبي لهو مقنع بما فيه الكفاية . لكن هناك فقرة أخرى لبولس تحيِّر الكثيرين . هذه الفقرة هي عما سوف يكون في نهاية العالم . والصعوبة في هذه الفقرة تكمن في أن المعنى الظاهري لكلماتها يبدو وكأنها تضع المسيح في منزلة أقل من الآب ، أي أقل من الله . نحن نقصد بالطبع ما جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 15 : 22 - 28، حيث يقول الرسول بولس : - " لأنه كما في آدم يموت الجميع ، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع . ولكن كل واحد في رتبته : المسيح باكورة ، ثم الذين للمسيح في مجيئه ، وبعد ذلك النهاية ، متى سلَّم الملك لله الآب ، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة . لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الاعداء تحت قدميه . آخر عدو يُبطل هو الموت . لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه . ولكن حينما يقول " إن كل شيء قد أُخضع " فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل . ومتى أُخضع له الكل ، فحينئذ الابن نفسه أيضا سيَخضع للذي أخضع له الكل ، كي يكون الله الكل في الكل "

وقبل أن نتسرع هنا في استنتاجنا ، لابد من ملاحظة أن بولس نفسه لا يعتبر بأي حال أن تعليمه هنا يثير الشك في لاهوت المسيح . فنجده بعد هذه الكلمات مباشرة ، يسارع ويدعو المسيح " ربنا " في عدد 31 ، ويكرّر ذلك أربع مرات متتالية قبل انتهاء هذا الاصحاح (اعداد 47 ، 57 ، 58) . وهو يقرِّر بوضوح هنا أن الرب الذي يكتب عنه ليس كآدم من الأرض ترابي ، لكنه " الرب من السماء " (عدد 47) ، أو بمعنى آخر ، الله أصبح إنسانا ! .

فماذا نفعل في الجزء الذي ذكرناه لتوّنا ؟ لابد لنا أن نتذكر أن بولس يوضِّح أن عمل الخلاص بجملته يبدأ وينتهي بالله الآب بلا أي لبس في الأمر. فمع أن الرب يسوع المسيح هو ابن الله (عدد 28) ، إلا أنه لم يفعل شيئا من ذاته. فالله الآب هو مدبِّر الخلاص ، وقد تُمم الخلاص بواسطة الله الابن . ولكي يعمل هذا أصبح إنسانا ، ومات وقام ثم صعد إلى السماء . وفي مجيئه الثاني سيُخضع كل الأعداء المتمردين على الله ، وحينئذ يكون قد أكمل كل ما كُلِّف به . وبعد إتمام الخلاص وهزيمة الشيطان ، سوف لا يتبقى له شيء ليفعله . عند هذه المرحلة سوف " يقدم تقريراً " للآب الذي أرسله ، وسوف يسلّمه كل انتصاراته ،

وبذلك سيظهر أن الله هو الذي غلب وليس الشيطان ، هذا الأخير سوف يُسحق ، ولن يبقى شيء غير مُخضَع تماماً لله ، فسيكون الله الكل في الكل .

ولكن كل ما فعله الله إنما صنعه بواسطة المسيح . ولم يفعل المسيح شيئا لذاته ، لكن للآب الذي كلفه بذلك . ولن يعطي الابن انطباعاً بأنه هو الذي انتصر وليس الآب . لذلك بعدما أخضع الابن كل شيء للآب ، سوف يخضع هو نفسه له ويكرمه . وسيكون واضحاً أن عمل الابن لم يكن معزولا ، فلم يصنع شيئاً دون الاتصال بالآب . فكل ما صنع ، تم في تناسق تام بين أقانيم الثالوث الثلاثة .

فإذا استنتجنا من كل ذلك أن الله الابن في منزلة أقل من الله الآب على نحو ما ، نكون قد أخطأنا خطأ جسيماً فقد عرفنا سابقا في هذا الكتاب ان الولادة الأزلية للابن لا تعني انتقاصاً منه . فحقيقة وجود نظام في اللاهوت لا يعني بالضرورة وجود رُتب . فالأولوية لا تعني الأفضلية في شيء . وقد تطرقت إلى هذه النقطة بشيء من التفصيل في كتابي الثلاثة واحد " The three are one " ، وبما أن الكتاب الذي نحن بصدده ليس مخصصاً لدراسة عقيدة الثالوث ، فوجدت أن اكتفي بالاشارة فقط إليها هنا . لكن لابد من التنبير على أن العلاقة الأزلية بين الآب والابن لا تعني بأية حال من الاحوال وجود أحدهم كالأكبر والآخر كالأصغر.

وبالتأكيد فان الترتيب الذي يظهر في اللاهوت يعكس الطريقة التي يعمل بها الله . فكل ما يعمله الآب ، إنما يعمله دائماً بواسطة المسيح . والمسيح كوسيط لا يصنع شيئا من ذاته ، مع أنه هو الله بذاته ! لا يمكن لعقولنا البشرية المحدودة أن تدرك كل هذا ، ولكن مع ذلك ، يبقى أن هذا هو ما يعلمه الكتاب المقدس . على أية حال لابد لنا أن نذكر أن كل ما صنعه المسيح ، إنما صنعه كانسان . لقد أصبح إنسانا في أحشاء العذراء مريم ، ولا يزال إنسانا حتى يومنا هذا وإلى الأبد.

وسوف نتتبع هذا الموضوع في القسم الثاني من هذا الكتاب ، لكن لابد أن نتذكر هذه الحقائق ونحن نتأمل في الفقرة التي ذكرناها من قبل ، فالوسيط الذي يقدم تقريراً للآب هو إنسان ، مع أنه الله الآب .

هل يمكن لإنسان أن يقف في محضر الله غير خاضع له ، حتى لو كان هذا الإنسان هو " الله الإنسان " ؟ إذا أمعنّا التفكير في كل ما قيل ، فستقل صعوبة الفقرة المذكورة إلى حد كبير . ولن نعتبرها أنها تقف حجر عثرة في وجه إيماننا بلاهوت مخلّصنا . فكيف يؤكد بولس وقوع كل الأعداء في النهاية تحت قدمّي المسيح ، إن لم يكن المسيح هو الله نفسه ؟

**** حتمية لاهوته :***

يتضح في ختام الفصل الأول من هذا الكتاب ، أن الكتاب المقدس يؤكد على لاهوت المسيح . ونحن بكل سرور نكرّر هذا الحق : أنه الله الأزلي ، لقد كان الله حين كان بيننا ، وهو الله الآن وإلى الأبد . وكم يجب علينا أن نكون شاكرين لوضوح هذا التعليم في كلمة الله ، إذ أن خلاصنا يتوقف عليه تماماً .

فلو كان المسيح أقل من الله ، لكان حتى هذه اللحظة في قبره . فلا يمكن لإنسان عادي ، مهما بلغت درجة كماله ، ومهما أسبغ عليه من الروح القدس، أن يعلن ما جاء في يوحنا 10 : 17 " لهذا يحبني الآب ، لأني أضع نفسي لآخذها أيضا " فيمكن لإنسان عادي أن يقول أنه يضع حياته ، أما أن يأخذها ثانية فهذا ما لا يستطيعه .

ولكي يموت إنسان ثم ينتصر على الموت بالقيامة ، لابد أن يكون هو الله نفسه . فلو لم يكن ربنا يسوع المسيح هو الله ، لما كان لنا مخلّص حيٌ اليوم . ولكُنَّا في تيه بلا طريق ، وبقينا في خطايانا نسرع الخُطى كمذنبين نحو الدينونة الأبدية .

لكن دعنا نفكر في حياته وموته الذي سبق قيامته . فَمَنْ غير الله نفسه يستطيع أن يطيع ناموس الله تماماً وبذلك يمكنه أن يموت كذبيحة غير محدودة القيمة نيابة عن أعداد لا حصر لها من البشر ؟ لأنه الله ، كان باستطاعته أن يقدم ما هو أعظم في القيمة مما تقتضيه خطايا العالم أجمع . ولو لم يكن هو الله ، بقدرته غير المحدودة في احتمال الألم ، كيف تسنَّى له أن يحتمل الغضب الإلهي اللانهائي في الجلجثة في ساعات قليلة ؟ من سوى الله الأزلي يمكنه أن يدفع ثمن القصاص الذي يطالب به الله غير المحدود ؟

لقد جاء الله بنفسه كي يفتدينا . يا لها من محبة ! لكنه جاء كإنسان . وتجسُّد المخلّص أساسي جداً لخلاصنا ، تماماً كلاهوته، وسوف نتحوَّل لهذه الحقيقة في الجزء القادم .

الوعد بإنسان

رأينا فيما سبق أن الرب يسوع كان الله منذ الأزل ، وأنه ظل كما هو الله أيضا في فترة تجسده ، وأنه هو الله الآن وإلى الأبد . وسوف نتأمل في الجزء الثاني من هذا الكتاب في حقيقة أن ابن الله الأزلي أصبح إنسانا . وهو مازال كذلك حتى يومنا هذا ، ويبقى دائماً واحدا . فهو الله والإنسان معاً ، في طبيعتين متميزتين .

ولم يصبح ربنا إنسانا إلا عندما حُبل به من الروح القدس في رحم العذراء مريم . ولكن قبل هذا الوقت ، كان واضحاً أن ابن الله سوف يأخذ طبيعة البشر يوما ما . والحقيقة إنه قد ظهر كانسان قبل تجسده بوقت طويل .

**** ملاك الرب :***

لا يمكن الاستناد إلى هذا الإعلان بمجرد الرجوع إلى نص أو اثنين من العهد القديم . ولتوضيحه لابد من الربط الدقيق بين العديد من فقرات الكتاب المقدس .

وبادئ ذي بدء لابد من ملاحظة فقرات متعددة في العهد القديم يأتي فيها ذكر " ملاك الرب " . فواضح تماماً أن المقصود به هو الله نفسه . وبنفس الوضوح لابد أن ندرك أنه مميَّز عن الله . فكلمة " ملاك " تعني " مُرسَل " أو " رسول " ، فعبارة ملاك الرب إذن تعني " المرسل من يهوه "

يذكر الوحي في (تكوين 16 : 7 - 13) كيف أن هاجر التي هربت من وجه أبرام وساراى ، قيل لها من قبل " ملاك الرب " أن ترجع إليهما . وواضح تماماً أن من يكلمها كان الرب نفسه ، إذ أجابته تلك قائلة " أنت إيل رُئي". أي أنت الله الذي يرى فالذي أُرسل من الله واتخذ هيئة مرئية أمامها ، لم يكن سوى الله نفسه !

وإبراهيم نفسه جاءه ملاك الرب بعد ذلك بقليل ، عند بلوطات مَمْرا (تكوين 18) . ويسجل الوحي أن الزائر ظهر في هيئة رجل (عدد 2) ، لكن من الواضح أيضا أنه كان الرب نفسه (اعداد 1 ، 13 ، 14) . وأدرك إبراهيم هذه الحقيقة ، ورفع صلاته له (اعداد 23 - 33) . لقد وقف أمام إنسان وخاطبه على أنه الله !

لم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي قابل فيها إبراهيم ملاك الرب . لقد كان أيضا ملاك الرب هو الذي منعه من ذبح ابنه اسحق (تكوين 22 : 11 - 15) . ودعا إبراهيم ذلك المكان " يهوه يرأه " أي الرب يدبِّر (عدد 14) ، لأنه أدرك مرة أخرى هوّية هذا الزائر السمائي . وأعطاه الملاك وعداً ، بدأ بهذه الكلمات " بذاتي أقسمت ، يقول الرب ...... " (عدد 16) . فالذي أرسله الرب كان الرب نفسه !

لقد جاء ذكر ملاك الرب في مناسبات عديدة في العهد القديم ، وفي كل منها وضح تماماً أن المرسل من الله ، والذي كثيرا ما قيل عنه بالتحديد أنه في هيئة بشرية ، هو الله نفسه .

لقد كان ملاك الرب هو من تكلم إلى موسى من العليقة المشتعلة قائلا " أنا إله أبيك ... " (خروج 3 : 6) ، ويستمر في الحديث حتى يظهر اسمه " أهيه الذي أهيه " (عدد 14) . لقد كان صوت الملاك هو صوت الرب (أعمال 7 : 31) . وكان الملاك هو الله الذي سار أمام يعقوب ورعاه منذ وجوده (وجود يعقوب) (تكوين 48 : 15 ، 16) ، وهو الرب نفسه الذي سار أمام بني إسرائيل أثناء هروبهم من مصر (خروج 13 : 21 ، 14 : 19) . إنه ملاك الرب الذي ظهر مرتين في سفر القضاة ، وفي كل مرة يعلن أنه الله نفسه (قضاة 6 : 11 ، 12 ، 14 ، 16 ، 13 : 3 ، 9 ، 22) . لكن كانت هيئته المنظورة في صورة إنسان ، إذ أننا نقرأ عنه أنه " جلس " (6 : 11) ، والتفت (6 : 14) ، وكانت له ملامح (قضاة 13 : 6) . لقد ظهر واضحاً كانسان في المرتين ، حتى أن من قابلوه أحضروا له طعاماً (6 : 19 - 22 ، 13 : 15 - 23) .

فالشخص الذي اعتقدوا أنه " رجل الله " (13 : 6) و" الرجل "(عدد 10) كان الله المُرسل من الله ! فمن يكون هذا سوى ابن الله الأزلي قبل تجسده ؟

لقد أوضح العهد القديم بطرق كثيرة أن هذا الشخص الذي ظهر كانسان ، لم يكن صورة ثانوية لله . فعلى سبيل المثال في قصة حلم يعقوب الشهيرة ، عن السلم الذي يصل إلى السماء يذكر " هوذا الرب واقف عليها ، فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق ... " (تكوين 28 : 13) .

لقد أتضح الأمر لقد رأى يعقوب الله ، لقد ذكر هذا الإعلان بلا أي تعديلات . وفيما بعد في نفس هذه الرواية ، عندما كان يعقوب يحكي عن حلم آخر، أن هوية ملاك الرب ظهرت كالرب نفسه " وقال لي ملاك الله في الحلم.. أنا إله بيت إيل .. " (تكوين 31 : 11 ، 13) .

وهكذا تكون فكرة أن الملاك الذي رآه لم يكن هو الله ؛ مقضيا عليها تماما، فالذي رآه يعقوب كان الله نفسه .

في مناسبة أخرى " بقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر " (تكوين 32 : 24) . لم تظهر هوية هذا الإنسان لنا مباشرة ، حتى جاءت شهادة يعقوب نفسه التي أعلنتها بوضوح تام لأذهاننا " فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (أي وجه الله) قائلاً : لأني نظرت الله وجها لوجه ، ونُجِّيتْ نفسي " (تكوين 32 : 30) .

قبل تجسد المسيح بزمن بعيد ، صارع يعقوب مع إنسان واتضح أنه الله! نعم " جاهد مع الملاك وغلب ، بكى ، واسترحمه ، وجده في بيت إيل ، وهناك تكلم معنا، ذاك هو الرب إله الجنود يهوه اسمه " (هوشع 12: 4 - 5).

وبالمثل ، لما أعطيت شريعة الله لبني إسرائيل على جبل سيناء ، تكلم الله نفسه بصوت مسموع ، وبلغة بشرية (تثنية 4 : 33 ، 36 ، 39) . " ونزلتَ على جبل سيناء ، وكلمتَهم من السماء ، وأعطيتَهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة ، فرائض ووصايا صالحة " (نحميا 9 : 13) ويقرر الكتاب المقدس بكل صراحة أن الصوت الذي تكلم كان صوت الله . ولم يُذكر بالتحديد أن الصوت الذي أعطى الشريعة كان صوت " الملاك " إلا في العهد الجديد في خطاب استفانوس الدفاعي (أعمال 7 : 38) . وعليه فلا مكان للشك في أن "

ملاك الرب " هو " يهوه " نفسه . فلم يكن " ملاك حضرته " (في اشعياء 63 : 7 - 9) سوى الرب نفسه .

التحقق من شخصية الملاك :

ما لنا وكل هذا ؟ في كل الفقرات التي استشهدنا بها ظهر الله في صورة بشرية كانسان ، وذلك بصفة مؤكدة . لكن كيف يتمشى هذا الكلام مع تأكيدات العهد الجديد أن " الله لم يره أحد قط " ؟ (يوحنا 1 : 18) .

سوف نجد الإجابة واضحة إذا أكملنا قراءة هذا العدد ، إذ يقول " الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر " . وحين يقول يوحنا أن أحداً لم ير الله ، فهو يقصد الله الآب .

وهذا يؤكده ما جاء في يوحنا 6 : 46 " ليس ان أحدا رأى الآب " حقا إن أحدا لم ير الله الآب ، إلا أن هناك عيوناً بشرية قد رأت الله فعلاً ! فالله الذي رأوه هو الله الابن . إنه هو الذي قال " الآب قد أرسلني " (يوحنا 5 : 36) . إنه الله الذي أُرسل من قبل الله . إنه هو الذي كان " ملاك الرب " . فابن الله الأزلي ظهر مرات عديدة في صورة بشرية قبل أن يتخذ لنفسه جسماً بشرياً بزمن بعيد .

كل ظهور لله كان - في واقع الأمر - ظهوراً للرب يسوع المسيح . فمجد الله لم يظهر سوى على وجهه (2كورنثوس 4 : 6) . ويجب ألا يظن أحد منا أنه " أخفق " بطريقة أو بأخرى لأنه لم ير الله الآب . فيسوع وقف أمام العالم ليعلن " أنا والآب واحد " (يوحنا 10 : 30) . " الذي يراني يرى الذي أرسلني " (يوحنا 12: 45) ، " الذي رآني فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا الآب " ؟ (يوحنا 14 : 9) .

نحن نذكّر أنفسنا ثانية عندما رأى اشعياء يهوه في كل مجده ؛ وسقط على وجهه في محضر كلي القداسة ، فقد رأى الرب يسوع المسيح وقتئذ (قارن اشعياء 6 : 1 - 12 مع يوحنا 12 : 34 - 41) . فالله الذي رآه في هذه الرؤية المجيدة كان في صورة إنسان . وقد كان جالساً على عرش عال ، وأذياله تملأ الهيكل . نحن نفترض أن اختبار اشعياء هذا ؛ لم

يختلف كثيراً عما رآه موسى وهارون وشيوخ إسرائيل ، عندما شاهدوا " إله إسرائيل " ، وأكلوا وشربوا في محضره (خروج 24 : 9 - 10) . لكن لماذا يُظهر الله - غير المنظور - نفسه من خلال ابنه في صورة إنسان حتى في أزمنة العهد القديم ؟

يأتي كإنسان :

للإجابة على هذا التساؤل نقول إن ظهور المسيح في صورة بشرية قبل تجسده ؛ كان تمهيداً لمجيئه المنتظر بين الناس . وقد تبرهن هذا الكلام بعدة شواهد من العهد القديم . فمثلا ، في (زكريا 2 : 10 - 11) تقابلنا هنا نفس الفكرة عن يهوه الذي يرسل شخصاً يكون هو يهوه ذاته . وفي ضوء ما نعرفه الآن عن " ملاك الرب " فإننا لا نجد شيئاً من الصعوبة في إدراك ذلك .

بل نجد الآن عاملا إضافيا . في هذه المناسبة ، يعد الرب الذي أُرسل أن " يسكن " بين شعبه . وإذ رأينا أنه عند ظهوره لشعبه ظهر في صورة إنسان، أليس من المنطقي أن نتوقع منه انه عندما يأتي ليسكن في وسطهم يأتي ليسكن في وسطهم كانسان ؟ لم يكن هناك تجسد بعد ؛ حين كتب زكريا نبوءته ، لكن بتنبيره عنه صار متوقعاً . لقد مهَّد السبيل ، وكانت كتابته بأقوى جرأة حين كتب عن راعي يهوه ، الذي وصفه رب الجنود بأنه " رجل رفقتي " (زكريا 13 : 7) . تُرى هل تذكَّر بطرس هذه الآية حين أعلن أن أنبياء العهد القديم لم يدركوا تماماً ما أُظهر لهم عن المسيح الآتي ؟ (1بطرس 1 : 10 ، 11) . وسواء فهم زكريا نبوءته أم لا ، فهي واضحة لنا بما فيه الكفاية عندما نرجع إليها . كان ظهور ابن الله كانسان هو الخطوة الأولى ، التي كان يجب أن تتبعها خطوة ثانية ، وهي أنه " يصبح " إنسانا .

ولم يكن صوت زكريا هو الأوحد في إعلان هذا الحق . فقبله كتب ميخا ان الذي " مخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل " سيأتي من بيت لحم ويكون متسلطا على إسرائيل " (ميخا 5 : 2) لقد أدرك اليهود إدراكا صحيحا أن الشخص المقصود في هذه النبوءة سوف يولد هناك (متى 2 : 1 - 8 ، يوحنا 7 : 42) . أما ما عجزوا تماماً عن إدراكه هو أن هذا الشخص الذي سوف يأتي للجنس البشري ؛ لن يكون سوى الله الأزلي ! فلو علموا ذلك لما اضطهدوا وصلبوا رب المجد . فقد كان الحق مخفياً عنهم . لقد شهدت الأسفار المقدسة عن

المسيح (يوحنا 5 : 39) ، لكن اليهود لم يفهموها ، ولم يدركوا قدرة الله . ولذلك ظلوا في ضلالهم ولم يرجعوا إليه (متى 22 : 29) .

لقد تزامنت إرسالية ميخا مع إرسالية اشعياء . فهو أيضا تكلم عن المسيا الآتي ، وفي الواقع كتب عنه أكثر من كل كُتَّاب العهد القديم . وقد سبق ودرسنا ما كتبه بخصوص الابن الذي سوف يولد من عذراء (اشعياء 7: 14). ونبَّرنا على أن تلك النبوة أظهرت إلوهية المسّيا الآتي . والآن لابد أن نلاحظ أنها أيضا نبوءة عن أن الله سيولد ، وتبعتها نبوءة أخرى ، وهي أن المسيا الآتي سوف يكون الله القدير ، الذي سيتبوأ عرش داود . إلا أنه سوف يأتي كطفل مولود ، وكابن (اشعياء 9 : 1 - 7 ، متى 4 : 14 - 16) . هذا هو العمل العجيب الذي كانت قوة الله بصدد أن تصنعه. فالله دبَّر أن يأتي للجنس البشري كواحد منهم !

كان هذا التعليم واضحاً للدرجة التي لا يمكن معها تفسير فشل اليهود في إدراكه ، إلا على أساس أنهم كانوا عمياناً روحياً . فلم تكن الفصول الكتابية التي أشرنا إليها غامضة ، وقد عرفها اليهود كلها تمام المعرفة ، لكنهم - ببساطة - لم يروا ماذا تعني كلماتها . لقد توقعوا مسيّا ، ولكنهم لم يتوقعوا أن يكون هو الله . لم يدركوا أبداً تأكيد الكتاب العجيب والمذهل أن الله سوف يولد، وأنه سيصبح إنسانا بين الناس .

ألم يدر في ذهنهم سؤال ربنا يسوع الوارد في (متى 22 : 43 - 44) أبداً حتى نطق هو به ؟ لقد عرف كل اليهود أن المسيا الآتي سوف يكون ابن داود، أو من نسله . وكلهم عرفوا أن (مزمور 110) هو عن المسيا . ولو لم يكن هناك إجماع عام على صحة هذه الحقيقة ، لما كانت هناك فاعلية للحجج والبراهين التي أوردها كاتب العبرانيين في (5 : 6 ، 7 : 17) . لكن مزمور 110 كتبه داود . فإذا كان المسيا يجب أن يكون من نسل داود فكيف يذكره داود على أنه " رب " ؟

والإجابة - بالطبع - أن هذا النسل البشري يجب أن يكون إلهيًا ، فالله دبَّر أن يأتي إلى العالم كانسان من ذرية داود . ونجد هنا إشارة واضحة لتجسد ابن الله الآتي إلى العالم بالوضوح الذي يتمناه أي إنسان ، لكن اليهود لم يفطنوا إليها .

فإن كانوا لم يروا الحق المذخَّر في مزمور 110 ، ألم يستطيعوا أن يروه في مزمور 2 ، الذي طالما تغنوا به ؟ ألم يخبرهم الوحي من خلال كلماته ؛ أن ذاك الذي في السماء قد مسح على الأرض مليكه (الناسوت) الذي هو ابنه (اللاهوت) ؟ (مزمور 2 : 6 ، 7 ، 10 – 12) . ألم يعرفهم هذا المزمور إن من يخدم ابن الله فهو يخدم الرب ؟ ألم يدركوا من هذا المزمور ما يكفي من الحق الروحي الذي يقودهم لتوقع المسيا الإلهي الذي سيكون إنساناً فعلا ؟

وإلى جانب كل هذه الأصوات ، ها هو صوت ملاخي . كان صوته - كما نعلم - هو خاتمة كتاب العهد القديم ، والذي دوى على مدى أربعة قرون ما بين العهدين القديم والجديد ، إلى أن استخدم يوحنا المعمدان مضمونه .

لقد سجل ملاخي بأمانة كلمات الله الآتية " هأنذا أرسل ملاكي ، فيهيئ الطريق أمامي ، ويأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به ، هوذا يأتي ، قال رب الجنود " (ملاخي 3 : 1) . وبعد أن واجهوا إعلان يوحنا بأنه تحقيق للجزء الأول من هذه النبوءة ، كان المفروض أن يملأ إسرائيل كلها التوقع ؛ وبالفعل كان كثير من الناس كذلك (مرقس 1 : 1 - 9) .لأن الخطوة التالية للأحداث هي المجيء الفعلي " لملاك " أو " رسول " العهد . وكان لزاماً لذاك الذي ظهر كثيرا كانسان ، أن يأتي إلى شعبه ويأتي إلى هيكله . فقد ذكرت حقيقة مجيئه مرتين . فما الذي كان يمكن أن يقصده ملاخي سوى أن " الملاك " سيأتي جسدياً إلى هيكله كانسان ؟ فالملاك الأول في هذه الآية كان واضحاً أنه إنسان ، فكيف إذن يكون الثاني غير ذلك ؟

بالحقيقة إنسان :

إن أقوال العهد القديم التي تؤكد أن الله الآتي سيأتي في صورة إنسان ، والإنسان الآتي سيكون هو الله ، لم تكن هي الوحيدة في العهد القديم التي تحدثت عن مجيء المسيا . فبالرجوع إلى الكتاب مرة أخرى ، نجد أن كل الأنبياء القدماء كانوا يبحثون أي وقت أو ما

الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم ، الذي سبق فشهد بالآلام التي للمسيح ، والكثير منها - كما رأينا - أوضحت أن هذا الآتي هو الله . وكلها بلا استثناء أظهرت أهمية أن يكون إنسانا . ولن يكون للنبوءات اللاحقة أي معنى ، إن لم تكن هذه هي الحقيقة .

بالنسبة لميعاد مجيئه ، فقد ذكرت النبوات بأنه سيأتي قبل أن يزول قضيب يهوذا (تكوين 49 : 10) ، بعد أربعمائة وتسعين عاماً من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم (دانيال 9 : 24 - 27) ، وأثناء وجود الهيكل الثاني (حجي 2 : 9 ، ملاخي 3 : 1).

كان لابد للمسيح أن يُولد الولادة البشرية (اشعياء 7 : 14 ، 9 : 6 ، تكوين 3 : 15 ، 17 : 7) ، ويولد في ظروف متواضعة (مزمور 22 : 6 ، 9 - 12 ، ميخا 5 : 2) ، وأن يكون من سبط يهوذا ومن بيت داود (ارميا 23 : 5 ، 6) . وسبق أن رأينا أنه كان لابد أن يولد من عذراء (اشعياء 7 : 14) ، ويسبقه من يتقدم أمامه (ملاخي 3 : 1) . وسوف يخضع لناموس الله؛ وسيظهر طاعة كاملة له (مزمور 40 : 6 - 10) . وأخيرا سوف يموت ، ويُدفن ، ويظل تحت سلطان الموت لفترة وجيزة (اشعياء 53 ، مزمور 16 : 9 - 11 ؛ 22 ؛ 118 : 17 - 23) .

وجاء الكثير من تفصيلات موته والأحداث التي سبقته بتفاصيل دقيقة . فكان عليه أن يدخل أورشليم راكبا على جحش (زكريا 9 : 9) . وكان يجب أن يُباع بثلاثين من الفضة ، وبها كان يجب أن يُشترى حقل الفخاري (زكريا 11 : 12 - 13) . وكان يجب أن يُجلد ويُعذَّب ، ويُبصق عليه ، ويُذل (اشعياء 50 : 6) . وكان لابد أن تُلقى قرعة على ثيابه (مزمور 22 : 18) . وكان يجب أن يُعطى خلاً ليشرب (مزمور 69 : 21) . ونفس الكلمات التي نطق بها على الصليب سبق التنبؤ بها (مزمور 22 : 1) ، وكان لابد أن تنفصل عظامه (كما كان يحدث في كل عمليات الصلب) (مزمور 22 : 14). كان يجب أن تُثقب يداه ورجلاه ويُطعن (مزمور 22 : 16 ، زك 12 : 10) ويستهزأ به (مز22 : 7 - 8) ويتفرس فيه (مز 22 : 17) ، ويحصى مع الأشرار ، ومع غنى عند موته (اشعياء 53 : 9) .

ونقول ثانية ، أن (1بطرس 1 : 10 - 11) تقودنا إلى الاعتقاد بأن الأنبياء أنفسهم ؛ لم يفهموا كل ما كتبوه عن المسيا الآتي . لكن النبوات قد سُجلت ، على أية حال . وإذا لم يكن إدراك كل التفاصيل قبل الوقت المعيَّن ، فعلى الأقل أولئك الذين لهم العيون التي تبصر؛ لم يتشككوا في حقيقة عظيمة واحدة هائلة . فحين جاء المسيح ، لم يكن طيفاً أو خيالاً ، بل بالحقيقة كان إنساناً .

هوذا الانسان !

أصبح الرب يسوع المسيح إنساناً ، إلى جانب استمرار كونه الله . وأصبح ما سبق التنبؤ به ووُعد به في العهد القديم حقيقة تاريخية . لقد اتخذ طبيعة بشرية، وحمل صورة البشر ، وأُظهر كإنسان ، متخذاً اسماً بشرياً - يسوع الناصري .

كتب " Louis Berkhof " لويس بيركهوف أنه في سياق إحترامهم للاهوته ، نسى الناس أحيانا المسيح الإنسان . ومن الأهمية بمكان ؛ أن نُبقى على حقيقة وتمام بشرية يسوع في أذهاننا ، وذلك بقبول حقيقة نموه الجسدي ومحدودية جسده . فلا يجب للتأكيد على جلال لاهوته وبهائه أن يطغيا للدرجة التي فيها تُطمس حقيقة بشريته .

والآن نحن بصدد بحث حقيقة وتمام بشرية يسوع في الصفحات التالية .

**** الميلاد العذراوي :***

لقد دخل ابن الله الازلي إلى الجنس البشري من خلال رحم العذراء مريم. " لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه ، مولوداً من امرأة " (غلاطية 4 : 4) .

ليس ليسوع المسيح أب أرضي ، فقد حُبل به بقوة الروح القدس في رحم العذراء مريم (متى 1 : 20) . فقد حلَّ عليها الروح القدس وظلّلتها قوة العلي. لذلك كان وليدها طفلا قدوساً هو ابن الله (لوقا 1 : 35) .

وها هو حَبَل العذراء الذي سبق التنبؤ به بواسطة اشعياء، قد تم أخيراً ! (اشعياء 7 : 14 ، متى 1 : 23) . هنا تم تحقيق الوعود التي تكررت مراراً كثيرة بمجيء الله نفسه إلى شعبه ليخلّصهم .

وجاء عمل الروح المعجزي في رحم مريم العذراء ؛ دون الحاجة لدور رجل ؛ متناغماً مع حقيقة أن الطفل المولود منها هو ابن الله الأزلي . فقوة الروح القدس قدَّست طبيعة المسيح البشرية منذ البداية ، وبذلك حفظتها طاهرة من دنس الخطية التي تُلوث كل كائن آخر من الجنس البشري . ولا يمكننا الكلام عن الكيفية التي أتم بها الروح القدس كل هذا . ولا أحد يعرف بالتحديد كيف تنتقل الخطية من الوالد إلى المولود . لكن يجب أن نلاحظ أن تقديس الروح القدس ؛ لم يتم فقط وقت الحبل به ، بل استمر طوال حياته (يوحنا 3 : 34، عبرانيين9 : 14) .

كان ميلاد المسيح من امرأة ؛ هو الإتمام المذهل لأول وعد عن المسِّيا في سفر التكوين ، وعن اتخاذه طبيعة بشرية حقيقية . وإذ حُبل به من الروح القدس ، أظهر وأكد أن طبيعته إلهية ؛ وأن ميلاده لم يكن بداية لوجوده ، أي أن ميلاده لم ينتقص منه شيئا ، ففي الفصل الثاني من هذا الكتاب ؛ رأينا أنه ابن الله المساوي للآب قبل التجسد وبعده . لكن التجسد أضاف وأصبح على ما لم يكن عليه من قبل، لقد اتخذ لنفسه طبيعة بشرية ودخل الجنس البشري، إلا أنه لم يشترك في دنسه وتلوثه بالخطية .

**** انه بالحقيقة انسان :***

لا يجب أن نجرَّب بالظن بأنه بسبب ميلاد المسيح الخارق للطبيعة ، فإن طبيعته البشرية لم تكن حقيقية تماماً . ففيما عدا الخطية ، كان يسوع كواحد منا . " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما .. لأنه حقاً ليس يُمسك الملائكة ، بل يُمسك نسل إبراهيم . من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء ...... " (عبرانيين 2 : 14 - 17). إن نصوص الإنجيل ترجع بنا للوراء ، كما كانت ، لتفهمنا أنه كما أن ربنا يسوع المسيح كان الله تماماً ، كما رأينا فيما سبق بحثه ، فإنه كانت له أيضا طبيعة بشرية كاملة . حقا كان أكثر من إنسان ، لكن طبيعته البشرية كانت حقيقية . كانت له نفس طبيعتنا لم يكن هناك ما هو غير حقيقي أو خيالي أو ظاهري فقط . لكننا نقولها ثانيةً انه أصبح واحداً منا .

فقد وُلد طفل لفتاة من الجليل - هذا الطفل ؛ سجَّل البشيرون سلسلة نسبه بكل حرص في (متى 1 : 1 - 17 ، لوقا 3 : 23 - 28، أعمال 13 : 23 انظر أيضا يوحنا 7 : 27) .

وقمطته أمه ووضعته في مذود (لوقا 2 : 7). هذا كل ما رآه الرعاة الذين أتوا لزيارته ، مع أنه أُعلن لهم عن طريق الملائكة بأن هذا الطفل " مخلص هو المسيح الرب " (لوقا 2 : 8 - 20).

لقد كان ختان الطفل في اليوم الثامن لميلاده حقيقيا كما كانت تقتضي الشريعة ، وكان تقديمه للرب في الهيكل حقيقيا أيضا ، حيث أخذه سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله (لوقا 2 : 21 - 35) . وهكذا لم نر شيئاً غير عادي في هذا الطفل ، حينما زاره المجوس الآتين من المشرق ، وحين أخذه أبواه إلى مصر هرباً من بطش هيرودس الملك (متى 2 : 1 - 23) ، ثم حين شب وكبر في بيت يوسف النجار في الناصرة . وبدأ يكبر وينمو كأي صبي آخر في القرية - ولكن يبقي شيء مختلف يستلفت الأنظار إليه : " وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ، ممتلئاً حكمة ، وكانت نعمة الله عليه " (لوقا 2 : 40) .

كان صبيًّا حقيقيا ذاك الذي سافر إلى أورشليم وكانت له اثنتا عَشْرَةَ سنة، وسبَّب قلق يوسف ومريم لغيابه عن نظرهم ، ثم وُجد بعد ثلاثة أيام في الهيكل يستمع إلى المعلّمين ويسألهم . حقا كان مدركاً أن أباه الوحيد هو الله ، ولكن هذا لم يقلّل بأية حال حقيقة رجوعه إلى بيته بالناصرة ، وخضوعه للسلطة الأبوية هناك ، وحقيقة أنه " كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة ، عند الله والناس " (لوقا 2 : 41 - 52) . ولأنه كان إنسانا كباقي أفراد أسرته ، فان سكّان الناصرة المتشكّكين - فيما بعد - كانوا يتساءلون عن المعلم صانع المعجزات قائلين " أليس هذا هو النجّار ابن مريم ، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا ؟ " (مرقس 6 : 3) .

إن الذي عمَّده يوحنا المعمدان في نهر الأردن كان إنسانا حقيقياً ، بالرغم من الأحداث الكثيرة التي صاحبت هذا الحدث والتي شهدت أن المسيح كان ابن الله الأزلي (يوحنا 1 : 30 ، متى 3 : 13 - 17) .

لقد كانت معمودية المسيح نقطة الانطلاق لبداية خدمته الجهارية ، التي قوبلت بمشاعر مختلطة ، فمن جهة أولئك الذين عرفوه جيداً ، قوبلت بعداوة شديدة، وعندما

أدركوا أنه جمع من حوله عددا من التلاميذ ، حاولوا منعه من العمل كمعلم متجوِّل. لقد ظنوا في عمله هذا أنه تهور وأكَّدوا أنه " مختل " (مرقس3 : 21) . هل كان من الممكن أن يفعلوا هذا ويقولوا ما قالوا لو لم يكونوا واثقين تماماً أن يسوع الناصري هذا إنما هو إنسان مثلهم ، هل كان يمكن لأعدائه أن يدعونه - بكل حقدهم - أنه " أكول وشرِّيب خمر " لو لم يكونوا واثقين كل الثقة من كونه إنسانا ؟ (متى 11 : 19) .

**** إدراك يسوع لذاته :***

لم يكن الناس فقط هم الذين أدركوا طبيعة يسوع البشرية ، بل هو أيضا كان مدركا لنفسه . سبق وأبرزنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أن يسوع كان واعياً تماماً للاهوته . ولاحظنا منذ قليل - مرة أخرى - انه وهو لايزال صبياً صغيراً علم أن الله هو أبوه الوحيد . وكان يحمل إدراكاً مماثلاً لطبيعته البشرية . وسار طوال حياته على الأرض وهو يدرك تماماً أن أباه المتفرد هو أعظم منه (يوحنا 14 : 28) .

كثيراً ما أشار يسوع إلى نفسه على أنه إنسان ، وكان أبعد ما يكون أن يقاوم هذا الفكر ، لأنه كان مدركاً لتلك الحقيقة دائماً . وقال لليهود الذين قاوموه دائماً بغير حق " لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم . ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم " (يوحنا 8 : 39 - 40) .

وقال أيضا مشيراً إلى مقاوميه " لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد (إنسان - حسب الترجمة الإنجليزية) غيري ، لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي " (يوحنا 15 : 24) .

لم يكن هناك تعارض في ذهن الرب يسوع بين إدراكه للاهوته السماوي وإدراكه لبشريته . وحالما ندرك هذه الحقيقة، نستطيع أن نفهم كيف استطاع يسوع أن يقول " ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء " (يوحنا 3 : 13) .

وما قولكم " إن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً ؟ " (يوحنا 6 : 62) .

ومما يثير الانتباه حقاً ، إستخدام الرب يسوع للقب " ابن الإنسان " في الأعداد السابقة ، وفي ثمانين مرة أخرى مسجَّلة في الأناجيل الأربعة . كان لقبه المفضَّل حين أشار إلى نفسه ، ولكنه نادراً ما أُستخدم بواسطة الآخرين في الكلام عنه . وقتما تفكَّر في نفسه ، ذكر أنه " ابن الإنسان " . قال عن نفسه " ابن الإنسان هو رب السبت أيضا " (متى 12 : 8) . أيضاً قال " ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا 19 : 10) . فاستخدام يسوع لهذا اللقب يترك فينا انطباعاً فريداً حول إدراكه لذاته ، ويظهر لنا ما كان يدور بذهنه حين كان شخصه المبارك هو محور أفكاره .

لقد دارت مناقشات كثيرة وغنية حول السبب الذي دعا المسيح لاستخدام هذا اللقب عن نفسه . فمن الواضح أنه كان مفعماً بالمعاني بالنسبة له . يظن البعض أنه اختار هذا اللقب من سفر دانيال في العهد القديم ، حيث عُبِّر عن ملكوت الله في صورة تصويرية عن " مِثْل ابن إنسان " (دانيال 7 : 13) . فإن كان هذا صحيحاً ، فأغلب الظن أن يسوع اختار هذا اللقب ؛ ليُظهر أنه المسِّيا الذي تحدث العهد القديم عنه ، وليس المسِّيا الذي توقعه فكر العامة من اليهود . فلو أنه استخدم لفظ " المسيِّا " في الكلام عن نفسه ، فربما ينعش ذلك آمالهم ويحرِّكها في طريق خطأ ، إذ أنهم أوَّلوا هذا اللقب بحسب تفسيرهم . وقد تحاشى المسيح هذا الخطر تماماً باستخدامه للقب غير معتاد " ابن الإنسان"، وكان عليهم أن ينصتوا له جيداً لتعريفه هو عن دوره .

ولم يكن دانيال وحده في العهد القديم الذي استخدم هذا التعبير . فهو موجود في (مزمور 8 : 4) ، (مزمور 146 : 3)، ومراراً كثيرة في نبوءة حزقيال ، حيث يدعو الله النبي " ابن الإنسان " المرة بعد الأخرى . ويبدو أن الغرض من ذلك هو وضع حزقيال في مكانه الحقيقي أمام جلال الله ، إذ يبدو النبي في مكانة متواضعة بالمقارنة ببهاء الله . فلابد أن يدرك ضآلته وضعفه حين يجابه الله القدوس . فإذا كان يسوع قد استخدم هذا الاصطلاح عن نفسه بهذا المفهوم ، فذلك لأنه قضى حياته فيما بيننا مدركاً للمجد الذي أتى منه ، وبالمثل تماماً مدركاً لتواضع وضآلة الحالة التي جاء خصيصاً ليحياها هنا . من الممكن أن يسوع كان له في ذهنه كلا الوعيين عن لقبه . فكان مدركا أنه الملك في ملكوت الله ، وأن ذلك الملكوت سوف يؤسس بتواضعه وتنازله لهذه الدرجة . وأيا كان

التوازن الصحيح في هذا الحق ، فمما لاشك فيه أن لقب " ابن الإنسان " يوضح بكل دقة أن يسوع كان إنسانا حقيقياً . وأياً كان غرضه من إطلاق هذا الاسم على نفسه ، فهو كان على دراية تامة بذلك .

**** كان إنسانا بكل الوضوح :***

كان إدراك المسيح لطبيعته البشرية مصدَّقاً عليه من قِبَل كل الذين رأوه أثناء خدمته الجهارية . لقد كان إنسانا بكل الوضوح .

بادئ ذي بدء ، كانت هيئته كإنسان ، فماذا كنا نتوقع أن يكون ذاك الذي هو " ابن داود وثمرة صُلبه " ؟ إنه جاء في " شبه جسد الخطية " (رومية 8 : 3). لم تلحظ المرأة السامرية شيئاً غير عادي في مظهره الخارجي . فعلى قدر فهمها ، ها هي تتورط في محادثة مع يهودي بغيض (يوحنا 4 : 9) . لم يدل مظهره الخارجي على أي شيء ملفت للنظر ، حتى أنه كان بإمكانه التجوال في شوارع أورشليم دون أن يلاحظه أحد ، كأي رجل آخر ، إلى أن لفت الأنظار إليه حين دخل الهيكل وبدأ يعظهم بمجاهرة (يوحنا 7 : 10 - 14) .

وبسبب عدم تمييزه عمَّن حوله كان لزاما على يهوذا - الذي خانه - أن يقبِّله لئلا يقبض الحراس - الذين أتوا للقبض عليه - على شخص آخر بطريق الخطأ (متى 26 : 47 - 50) . وحتى بعد قيامته ، حسب التلميذان المسافران إلى عمواس أنه أحد مواطنيهم الذي لم يكن له دراية بالأحداث الجارية في البلاد آنذاك (لوقا 24 - 18، 19) .

ومريم ظنت أنه البستاني الذي يعتني بالأرض المحيطة بقبر سيدها (يوحنا 20 : 15) . وأولئك الذين عرفوه لسنين كثيرة، لم يلحظوا أي اختلاف بينه وبين أي رجل جليلي آخر ، يمكن أن يوجد واقفاً عند البحيرة (يوحنا 21 : 4 - 5) يجب علينا أن نستبعد أية فكرة تطرأ لنا ؛ بأن وجه الرب يسوع كان يلمع ، أو كان محاطاً بهالة من النور . وحتى بعد قيامته لم يكن هناك شيء غير عادي أو غير بشري في المظهر الجسدي ليسوع الناصري .

ونحن هنا نؤكد أن تجسد المسيح لم يكن مسألة المظهر فقط . فقد أظهرت الأناجيل بالتفصيل ، أن الخبرات العامة التي كانت لكل الناس ، رجال ونساء ، كانت له أيضا . فقد جاع كأي شخص آخر (متى 4 : 2 ، مرقس 11 : 12 ، متى 21 : 18) . لكن الله لا يجوع (مزمور 50 : 12) . وعطش أيضا (يوحنا 4: 7 ، 19 : 28) وهذا الشاهد الأخير كان تحقيقاً لما سُطِّر في مزمور 69 : 21) . اختبر أيضا التعب (يوحنا 4 : 6) ، مع أن الله لا يكلُّ ولا يعيا (اشعياء 40 : 28) . راح في نوم عميق (متى 8 : 24) ، لكن الله لا ينعس ولا ينام (مزمور 121 : 4) . في كل هذا عمل ما يعمله الناس العاديون ، ولكن الله لا يفعله قط . من الواضح أنه كان يحمل طبيعة أخرى بالاضافة إلى طبيعته الإلهية التي سبق وتحدثنا عنها تلك الطبيعة الأخرى كانت طبيعة بشرية .

لقد سمع التلاميذ يسوع يتكلم عن جسده في بعض المناسبات (مثلا في لوقا 7 : 44 - 46) . تكلم مسبقاً عن دفنه (مرقس 14 : 8، متى26 : 12). وقد اتكأ يوحنا على ذلك الجسد في العشاء الأخير (يوحنا 13 : 23) ، حين تكلم يسوع عنه مرة ثانية في (متى 26 : 26) .

لم يكن هناك شيٌ غير حقيقي في طبيعة الرب البشرية ، ذاك الذي اتكأوا معه على مائدة واحدة في تلك الليلة ، لقد رأوه وهو يأكل ويشرب في مناسبات أخرى (متى 9 : 10 - 13 ، 11 : 19) ، كما قضوا تلك الليلة الحزينة وهم يلاحظونه وهو يفعل ذلك ، عندما كسر الخبز وقدم الخمر لهم ، كرمز لما كان عتيداً أن يحدث له .

وفي خلال ساعات رأوه وهو يتألم . لقد ذاق الألم والمعاناة طيلة حياته ، ولكن ما شاهدوه عندئذ كان ذروة آلامه . لقد اختبر هجوم الشيطان المتكرر عليه، أيضا عرف كراهية شعبه وعدم إيمانهم ، كذلك اضطهاد أعدائه . ولكن ها آلامه تصل إلى أقصاها . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " سُحِق بالحَزَن " والذي " صار عرقه كقطرات دم نازلةً على الأرض " (لوقا 22 : 44) . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " كُمِّلَ بالآلام " والذي " تعلَّم الطاعة مما تألَّم به " (عبرانيين 2 : 10 ، 5 : 8) . لم يكن طيفاً أو خيالاً ذاك الذي " تألَّم لأجلنا بالجسد " ، والذي كان " مُماتاً في الجسد " (1بطرس 4 : 1 ، 3 : 18) . كان جسده حقيقياً ، فليس عجباً أن يعرضه بيلاطس أمام الجموع صارخاً " هوذا الإنسان

! " (يوحنا 19 : 5) .

وهكذا مات يسوع المسيح في النهاية - مع أن الله لا يموت . نكس رأسه وأسلم الروح (يوحنا 19 : 30) . أطاع حتى الموت ، موت الصليب (فيلبي 2 : 8) . وبعد ذلك بقليل ، وحتى يتيقن الجنود من موته ، طعنوه بحربة في جنبه . ورأى يوحنا بعينَّي رأسه الدم والماء وهما يتدفقان من الجرح الناتج عن ذلك (يوحنا 19 : 32 - 35) .

بعد ذلك بقليل أخذ نيقوديموس ويوسف الرامي الجسد ، ولفوه في أكفان معطرة باطياب ؛ ومزيج مر وعود (يوحنا 19 : 38 - 42) . ووضع - بعدئذ - في قبر محفور في الصخر مملوك ليوسف الرامي ، وظل هناك حتى قيامته في صباح الأحد المجيد .

لقد ملأ اليأس التلاميذ . فالرب يسوع المسيح كان إنساناً بكل وضوح ، حتى أنه لما مات حزنوا جداً ؛ لأنه لم يعد معهم كما كان من قبل . ولما لم تجد مريم الجسد في القبر ، حزنت جداً لأنهم " أخذوا سيدي ، ولست أعلم أين وضعوه! " (يوحنا 20 : 13) . فبالنسبة لها كان هو الجسد ! وسواء مريم أو التلاميذ كلهم كانوا سيسخرون من فكرة أن جسده كان مختلفاً عن أي جسد آخر بأي شكل من الأشكال ، أو أنه كان مجرد ظهور فقط بطريقة بدون جسد مادي حقيقي. فيسوع كان إنسانا تاما ، وهم عرفوا ذلك يقيناً. ولما فقد جسده الحياة ، ظنوا أنهم فقدوه . ولما فُقد الجسد ، لم يستطيعوا أن يكبحوا جماح حزنهم . فكل ما عرفوه عنه كان في ذلك الجسد .

وكم كان فرحهم عظيماً عندما أعادت لهم القيامة سيدهم ! لقد ظهر لهم بجسده كما تعوَّدوه من قبل . لقد سمعوه يتكلم عن نفسه كمن له " لحم وعظام " (لوقا 24 : 39) . لقد لمسوه (يوحنا 20 : 17) ، وجسُّوه (لوقا 24 : 39) ، وفحصوا جروحه (لوقا 24 : 39 ، يوحنا 20 : 27) ، ورأوه وهو يعد طعاماً (يوحنا 21 : 9 - 14) ، كما رأوه وهو يأكل (لوقا 24 : 43) . لقد هزم الموت. ولكن ذاك الذي هزم الموت كان واضحاً انه إنسان .

**** ليس جسداً فحسب :***

كان جزءاً جوهرياً من خطة الله أن يكون لربنا جسد بشري حقيقي " هيأت لي

جسداً " (عبرانيين 10 : 5) . ولكن اتخاذه جسدا يمثل جزءاً فقط من المقصود بكونه إنسانا حقيقيا ، فهناك جانب خفي من الطبيعة البشرية . فهل اتخذ ابن الله الأزلي مجّرد تركيب جزيئي لإطار بشري ، أم كان إنساناً متكاملاً من جسد ونفس ؟ هل كان تجسده جزئياً فقط أم كليا ؟

إن إجابة الكتاب المقدس واضحة ، فلم يكن لربنا مجرد جسد بشري فحسب ، بل كانت له طبيعة بشرية كاملة . فبالاضافة إلى جسده المادي كان هناك الجانب الخفي من هيئته البشرية . كانت له نفس ، كانت له نفس بشرية.

والبرهان القاطع على هذا الكلام هو موته . فكان الموت له مثل أي إنسان آخر ، أي انفصال الروح عن الجسد . لقد اسلم روحه لعناية أبيه ، وفي التو واللحظة كان جسده مائتاً ومعلقاً على الصليب (لوقا 23 : 46) .

كما أظهر هذا الحدث أن جسم بشريته كان يحوي العنصرين اللذين يكوّنان الجسم البشري الحقيقي .

ولكن ليس لزاماً علينا أن ننتظر حتى نقرأ عن موت سيدنا ؛ لندرك أنه كان يملك نفساً بشريةً . فقد تكلم عن نفسه في مناسبات عديدة ، وبالأخص عن الحزن الذي جاز في نفسه ، خاصة حين تفكّر في الصليب وتأمّل في مأساة الخيانة المحققَّة التي سيواجهها . هناك دلائل كثيرة في الشواهد التالية تؤكد لهفة المسيح واشتياقه إلى التعاطف البشري معه ، ومن الصعب أن تجد برهاناً قاطعاً أقوى من ذلك على وجود نفس بشرية حقيقية (انظر يوحنا 12 : 27 ، 13 : 21 ، متى 26 : 38 ، مرقس 14 : 34 ، لوقا 22 : 44 ، انظر أيضا يوحنا 15 : 14 - 15) .

ونتيجة لامتلاكه روحاً بشرية ، كان لربنا إرادة بشرية ، فكيف إذن كان بمقدوره أن يصلي قائلاً " يا أبتاه ، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " ؟ (متى 26 : 39) . ولم تكن إرادته البشرية متعارضة مع الإرادة الإلهية على الإطلاق ، ولكنها كانت منفصلة عنها ، كما توضح لنا الآية السابقة بصورة قاطعة .

وقد وضحت حقيقة أن تجسد ربنا لم ينحصر في مجرد مشابهة مادية فقط ، منذ بداية روايات كاتبي البشائر . فيسجل لوقا البشير عن الصبي الذي نشأ وترعرع في الناصرة أنه " كان ينمو ويتقوى بالروح ، ممتلئاً حكمة " (لوقا 2 : 40) . وعند بداية الصبا " كان يتقدمَّ في الحكمة والقامة " (لوقا 2 : 52) . فإلي جانب نموه الجسدي ، كانت شخصيته تنمو أيضا ، فاكتسب معرفته من خلال القنوات العادية والمتاحة للصبية أقرانه في تلك الأيام . وخضع ليوسف ومريم ، ولمعلميه ، ودَرَسَ وتأمل . وفي ذات الوقت ، وضحت مقوماته الشخصية الداخلية أكثر فأكثر ، كذلك حكمته بطريقة ملفتة للنظر ، حكمته التي إزدادت كل يوم . ومع أنه الله العالم بكل شيء ، إلا أن ربنا الإنسان تعرَّض للمحدودية البشرية ، واجتاز طواعية في عملية النمو البشري الطبيعي ، وكان يُرى وهو ينمو ويكبر . ومع أنه من الصعب إدراك هذه الحقيقة ، إلاَّ أنها حقيقة سجَّلها الوحي . ولم تتوقف هذه العملية طيلة حياته، وحتى بعد اكتمال نموه ، وكإنسان لم يكن على علم ببعض الأمور (اقرأ مرقس 13 : 32) . كل خبرة في حياته قادته إلى بُعد جديد في الطاعة (عبرانيين 5 : 8) ، وأهَّلته تماماً ليكون رئيس خلاصنا (عبرانيين 2 : 10) . لا يمكن ان يكون كل هذا واقعا ما لم يكن إنساناً حقيقياً . ولا يمكن أن يكون كل هذا حقيقة لو لم يكن له نفس وروح .

ونرى برهانا آخر لوجود " نفس " لدى ربنا في حقيقة وجود حياة ذات مشاعر إنسانية . فعرف معنى أن يكون مسروراً، و" تهلَّل بالروح" حين رأى أن الله أظهر نفسه لأولئك المحتقرين من العالم (لوقا 10 : 21) . وعرف أيضا كيف يذرف الدموع ، فقد بكى خارج قبر لعازر بروح بشرية حزينة (يوحنا 11 : 33 - 36) . وكانت الدموع والصراخ العنيف جزءاً من خبرته البشرية، حين تفكَّر في المذبحة المروِّعة والمؤكَّدة لسكان أورشليم قساة الرقاب والقلوب (عبرانيين 5 : 7 ، لوقا 19 : 41 - 44) .

امتلأ قلب ربنا بالحنان في عدة مناسبات (متى 9 : 36) ، وأظهرت نفسه البشرية نفسها في مشاعر التعاطف والمواساة . وفي مواقف أخرى حزن وغضب (مرقس 3 : 5 ، 10 : 14) . لقد اختبر أن تكون له عاطفة خاصة تجاه بعض الناس (مرقس 10 : 21) ، ولا يوجد برهان على ذلك أقوى من حقيقة سعادته الخاصة بالوجود في أحد المنازل

الصغيرة في بيت عنيا (يوحنا 11 : 5). وأكثر الخبرات البشرية لربنا ، كانت تعرُّضه للتجربة (متى 4 : 1 - 11) . لم يُستثنى آدم الأخير مما اختبره آدم الأول ، إلا أن الفارق الكبير بينهما أن الثاني لم يستسلم للتجربة (عبرانيين 4 : 15) . وعلينا أن نلاحظ أنه لو لم يكن لربنا روح بشرية حقيقية، لكان من المستحيل أن يُجرَّب . فالله لا يمكن أن يُجرَّب (يعقوب 1: 13) . فلا يمكن لمجرد جسد يتخذه اللاهوت أن يجتاز مثل هذه الخبرة . ولم يكن ممكنا للشيطان أن يقترب إليه بهذه الطريقة لو لم يكن لربنا جسدٌ ونفسٌ كأي إنسان .

وكيف أمكن لروح ربنا البشرية أن تثبت في أوقات التجربة هذه وفي غيرها من شدائد حياته ؟ يؤكد كتَّاب البشائر أن خدمته كانسان ؛ لم تكن لتتم إلا بتعضيد قوة الروح القدس (انظر لوقا 10 : 21 ، عبرانيين 9 : 14) . وقد نال هذا التعضيد لحياته الروحية بالصلاة والشركة مع أبيه . كان محتاجاً للصلاة كحاجتنا نحن إليها (مرقس 1 : 35) ، وقد خصص أوقاتاً لها حين دعت الحاجة إلى إرشاد خاص (مثال : لوقا 5 : 16 ، 6 : 12 ، 9 : 18 ، 28) . هل كان يسوع بحاجة إلى الصلاة لو لم يكن له روح ونفس بشريتان مثلنا تماماً ؟ وفي الحقيقة ، لو أنه كان مجرد إطار بشري خال من روح بشرية ، ويسكنه اللاهوت فقط، هل كان في إمكانه أن يصلي ؟ أليست الصلاة علاقة بين روح بشرية والله الذي هو روح ؟ لو لم يكن هناك روح للمسيح منفصلة عن روح الله ، لكانت الصلاة مستحيلة بالنسبة له .

إذن فربنا كان إنسانا من كل الوجوه . فلا عجب أن يصفه بذلك كُتَّاب العهد الجديد بغير تردد أو استحياء . فقد أعلنوها مرة ومرات بدون أية محاولة منهم أن يصرفوا الانتباه عنها .

لقد تكلَّم بطرس عن المسيح في يوم الخمسين على أنه " رجل قد تبرهن لكم من الله " (أعمال 2 : 22) . وفي انطاكية أعلن بولس لليهود عن المسيح " أنه بهذا يُنادَى لكم بغفران الخطايا " (أعمال 13 : 38) .

ويؤكد لعلماء أثينا المستهزئين ، أن الله " أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عيَّنه " (أعمال 17 : 31) . ويقدم لمؤمني كورنثوس التعليم أنه : ...

بإنسان أيضا قيامة الأموات " (1كورنثوس 15 : 21) ، بينما يُشار إلى المسيح في أماكن أخرى ببساطة على أنه " (حسب الترجمة الإنجليزية) " هذا الإنسان " (عبرانيين 8 : 3 ، 10 : 10 - 12). كانت طبيعة الرب يسوع المسيح البشرية جزءاً لا يتجزأ من رسالة الإنجيل التي أُعلنت بواسطة الرسل .

في ضوء ما عرفنا ، لابد أن نفهم الشواهد التي تتكلم عن مجيء المسيح في الجسد ، على أنها لم تعن مجرد اتخاذه جسداً بشرياً فحسب ، بل أيضا طبيعة بشرية متكاملة . وهذا هو السر الأساسي للتجسد . " الكلمة صار جسداً" (يوحنا 1 : 14) ، " الله ظهر في الجسد " (1تيموثاوس 3 : 16) ، " يسوع المسيح جاء في الجسد " (1يوحنا 4 : 2) ، " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما " (عبرانيين 2 : 14) .

أي إنكار لهذا الحق هو هرطقة . ذلك لأنه لو لم يأخذ ابن الله لنفسه جسداً بشرياً حقيقيا ، فلا خلاص لنا ، وليست لنا بشارة لنبشر بها . وسوف نعود مرة أخرى لتلك النقطة ، ولكن لابد من تقريرها الآن . فأولئك الذين ينكرون حقيقة تجسد الرب يسوع ؛ هم أعداء للإنجيل تماماً كمن ينكرون لاهوته.

وقد اهتم العهد الجديد بإبراز هذه النقطة (انظر : 1يوحنا 2 : 22 - 25، 4 : 1- 6 ، 5 : 5 - 12 ، 2يوحنا 7 ، 9 - 11). " كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد ، فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي ، والآن هو في العالم " . (1يوحنا 4 : 3) .

**** إنسان بلا خطية :***

عندما نقول أنه كانت للمسيح طبيعة بشرية متكاملة ، لا يجب أن تنزلق أذهاننا إلى خطأ الظن ؛ بأنه كان يمتلك أيضا طبيعة خاطئة . صحيح أنه جاء " في شبه جسد الخطية " (رومية 8 : 3)، وكان بيننا بهذه الطبيعة التي هي خاطئة في كل الحالات الأخرى ، لكنه كان بلا خطية .

فالطبيعة البشرية والطبيعة الخاطئة ليسا وجهين لعملة واحدة ، إذ أن الخطية ليست

عنصراً أساسياً في الطبيعة البشرية ، بل هي دخيلة عليها . فقد خلق الله آدم بلا خطية ، وكذلك حواء أيضا . كان كلاهما إنسانين متكاملين ، لكنهما أصبحا خطاة فيما بعد . وحين جاء المسيح كآدم الأخير ، جاء بطبيعة بشرية حقيقية وكاملة مثلما كانت لآدم الأول . لكنه كان - وظل أيضا - بلا خطية . ولا يعني ذلك فقط أنه كان قادراً على تحاشي الخطية وأنه فعل ذلك ، بل تعني أيضا أنه كان من المستحيل أن يخطئ بسبب الرابطة الجوهرية بين طبيعتيه البشرية واللاهوتية - وهذا ما سنبينه لاحقاً .

على أية حال ، لم تكن قداسة المسيح مجرد حالة متعادلة (neutral) من الطهارة ، كما كانت في آدم الأول . فالعهد الجديد يحدثنا عنه كشريك كامل لنا في كل خبراتنا ، وبصفة خاصة في مجال التجربة ، حيث استطاع دائماً أن يقهرها . فالتجربة لا تكون تجربة إذا لم تتضمن الجهاد ضد غواية الخطية وإغراءاتها . إنها تستلزم مقاومة هذه الإغراءات . وعندما نقرأ عن الرب يسوع أنه " كان مجرباً في كل شيء مثلنا ، بلا خطية " نستطيع أن ندرك أنه بالرغم من حقيقة وقوة إغراءات الخطية ، إلا أنه خرج منها طاهراً بلا عيب أو دنس (عبرانيين 4 : 15) .

فقداسة المسيح وطهارته ما برحت أن تنكر على مر الأزمنة - وحتى يومنا هذا - من أشخاص وطوائف مختلفة . فالجدل السائد هو استحالة وجود مثل هذه الحياة الكاملة للمسيح ، والتي وُصفت في الأناجيل الأربعة . وإلى جانب ذلك ، قيل أيضا كيف ندَّعي القداسة لشخص ظلَّت حياته مجهولة حتى سن الثلاثين؟ وهؤلاء المعترضون نحن نوجِّه أنظارهم للاهوت المسيح ، الذي نستند إليه في قضيتنا. ونذكرهم بأن كل الذين كانوا على صلة وثيقة به ، وكانوا الأقرب لمعرفته ، أكَّدوا قداسته وطهارته .

ونحن نعلن هنا أن حياته خلال خدمته الجهارية التي امتدت إلى ثلاثة أعوام ونصف العام ، كانت مطابقة تماماً لهذا الإعلان ، بأنه كان بلا خطية طيلة حياته ، ولو لم نسلم بهذا لكانت هذه الخدمة بلا معنى .

لقد وُصِفَ ربنا يسوع المسيح رئيس كهنتنا بأنه " قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة " (عبرانيين 7 : 26) . وهذا إعلان مذهل ، إذ أن القداسة هي الصفة

المنطقية لله والتي تميزه عن خلائقه . وتعلمنا عبارات أخرى أن يسوع كان باراً ، نقياً ، خال من كل دنس أو فساد أخلاقي ، ولم يحسب ضمن الخطاة ، إذ كان منفصلا عنهم .

وتعرفنا تصريحات أخرى واضحة أنه " ليس فيه خطية " (1يوحنا 3 : 5) ، " الذي لم يفعل خطية " (1بطرس 2 : 22) ، وأنه " لم يعرف خطية " (2كورنثوس 5 : 21) . كان " بلا عيب ولا دنس " (1بطرس 1 : 19) .

صدرت هذه التصريحات من أناس عاشوا ملازمين للرب يسوع أكثر من ثلاثة أعوام ، ولم يروه فقط في العلن بل أيضا فيما نطلق عليها " الحياة الخاصة التلقائية " " unguarded moments" . ليس ذلك فقط ، لكنهم كانوا من اليهود الذين انغمسوا حتى إخمص اقدامهم ؛ في تعاليم العهد القديم ؛ التي تعلن صراحةً أنه ؛ ليس أحد بلا خطية سوى يهوه . فلم يكن من السهولة بمكان أن ينسبوا الطهارة إلى إنسان رفيق لهم .

وجاءت تعليقاتهم الخاصة بطهارة المسيح وقداسته أكثر إقناعاً ، إذ أنها سُجلت بتلقائية وما بين السطور ، حين كانوا يكتبون عن موضوعات أخرى ، فلم يجتهدوا ويجاهدوا لإيضاح هذا المعنى . وكان كل فكرهم عن حياة المسيح انها كانت حياة على هذه الأرض لكنها مقدسة وطاهرة تماماً مثل حياة الله في السماء .

صحيح أن الله جعل المسيح ، بحكم القضاء ، خطية على الصليب إذ "جعل الذي لم يعرف خطية ، خطية لأجلنا " (2كورنثوس 5 : 21) . لكنها حقيقة أيضا أنه " قدم نفسه لله بلا عيب " (عبرانيين 9 : 14) لقد حُسِبَتْ خطايانا عليه حين مات عنا . لقد كان في حياته وفي شخصه خالياً من كل الدنس الذي يرثه كل الرجال والنساء من والديهم ، وكان هذا بفضل قوة الروح القدس المُطهِّرة - كما رأينا - والتي أكّدت أن من حملته مريم في أحشائها ثم ولدته إنما هو " قدوس " . إنه لم يأت إلى العالم بطبيعة خاطئة ، ولم يرتكب إثماً في حياته . لقد شهد كوكبنا هذا وجود إنسان بلا خطية وسط أناس خطاة . حتى أعداء المسيح (وما أكثرهم !) لم يتمكنوا من إدانته بخطأ ما . فلم يجد من يجيبه عندما تحداهم قائلاً " من منكم يبكّتني على خطية ؟) (يوحنا 8 : 46) . ومن حين لآخر ، كان أعداؤه يتهمونه باتهامات طائشة ، وفي النهاية عندما ساقوه للمحاكمة كان يجب أن يتهموه

باتهامات سياسية ، واضطروا إلى رشوة الشهود . حتى الجحيم ذاتها لم تجد أي خطأ في يسوع الناصري ، فعندما صرخت الأرواح الشريرة في حضرته كانت تشهد أنه " قدوس الله " (مرقس 1 : 24) . واستطاع الرب يسوع أن يعلن قبيل القبض عليه " رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء " (يوحنا 14 : 30) .

لم يعترف الرب يسوع بخطية ما ، ولم يشارك تلاميذه في الصلاة القائلة " واغفر لنا خطايانا " (لوقا 11 : 4) . لم يساوره للحظة شعورٌ بالذنب . ومع أنه كان لديه المقدرة على التمييز الثاقب لرياء الآخرين ونفاقهم ، إلا أنه لم يدن نفسه على خطأ ما. لقد طالب بضرورة التوبة ، لكنه أبداً لم يكن يوماً في موقف التائب. لم يُظهر بتاتا أيةَّ إشارة بأنه قصَّر في معاييره الدقيقة . وعادةً فإنه كلما ازداد بر شخص ما ، ازداد قلقه على استمرار نقائصه . ولكن يسوع لم يكن هكذا . فقد كان بلا خطية . وبسبب هذا يصفه الكتاب المقدس بأنه الشخص الذي تحقق فيه الإنسان المثالي (انظر عبرانيين 2 : 8 - 9 ، 1كورنثوس 15 : 45 ، 2كورنثوس 3 : 18 ، فيلبي 3 : 21) . ويعتقد بعض الدارسين أن لقب " ابن الإنسان " - الذي تكلمنا عنه فيما سبق - لهو إشارة أخرى بأنه حقق النموذج الكامل للبشرية .

لكن ، هل كان من الممكن للمسيح أن يخطئ ؟ لقد دار جدل كثير حول هذه النقطة ، ليس في الماضي فحسب ، بل في حاضرنا أيضا . مع أنه كان يجب ألا يوجد أي جدل على الإطلاق . فلا يجب أن ننسى أبداً أن يسوع كان - وسوف يظل - الله الإنسان ، الذي فيه اتحدت الطبيعتان اللاهوتية والبشرية بلا إمتزاج.

ومع أنه لا يمكن أن ننسب شيئا من خصائص إحدى الطبيعتين إلى الأخرى ، إلا أنه يمكننا أن ننسب ما يتم بواسطة أي من الطبيعتين إلى شخص ربنا يسوع المسيح . فلو أنه قد أخطأ ، إذن فيمكن القول بأن ابن الله قد أخطأ، وهذا ما لا يمكن قبوله أو التفكير فيه . وسوف نتطرق لاحقا إلى الحديث عن العلاقة بين الطبيعتين في الشخص الواحد .

كل هذا لا يعني أن تعرُّض ربنا للتجربة لم يكن حقيقياً . فيمكن لصخور البحار أن تقاوم ضربات العاصفة إلى حين ، لكنها تُكتسح في نهاية الأمر . أما صخور الجرانيت ،

التي لا يمكن أن تكتسح ، فإنها تحتمل قوة الضربات التي لا يمكن للصخور البحرية العادية أن تختبرها . وهكذا أيضا فلأن ربنا يسوع المسيح لا يمكنه أن يخطئ ، لذلك تحمَّل وطأة التجربة التي لا يمكن لأي من أفراد الجنس البشري أن يختبرها أو يعرفها . ولشدة وقسوة التجربة عليه ، جعلته قادراً على تقديم العون المناسب الذي نحتاجه نحن حينما نقع في تجربة (عبرانيين 4 : 14 - 16) .

لكن هناك نقطة أخرى . فلو كان المسيح قد أخطأ إبان وجوده على الأرض ، لكان من الممكن أن يخطئ الآن . أليس " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ؟ " (عبرانيين 13 : 8) . أيمكن لخلاصنا الأبدي أن يؤسس على مثل هذا الأساس المزعزع الواهي ؟

**** الحاجة الملحّة لتجسده :***

لقد تأسس خلاصنا على تجسد المسيح الحقيقي المنزه عن الخطية . فالإنسان هو الذي أخطأ ، وكان لابد لإنسان أن يدفع جزاء السقوط في الخطية. ويشمل الجزاء معاناة الجسد والنفس معاً ، هذه المعاناة التي لا يتحملها سوى إنسان واحد (انظر ثانية يوحنا 12 : 27 ، أعمال 3 : 18 ، عبرانيين 2 : 14 ، 9 : 22) . وحيث أن هذا الجزاء يشمل أيضا المعاناة في هذه الحياة ، لذا كان ضرورياً أن يتخذ المسيح جسماً بشرياً ، ليس فقط بمكوناته ، ولكن أيضا في ضعفاته ، ومحدوديته ، ووهنه الذي تعرض له منذ السقوط . لهذا تعرَّض المسيح لمحدودية البشر في المعرفة ، واختبر الجوع والعطش ، كما اجتاز أيضا الحزن والألم . بهذا نزل المسيح إلى أعماق الخزي التي سقط إليها الجنس البشري (عبرانيين 2 : 17 : 18) .

ولكن في نفس الوقت كان لابد أن يكون إنسانا بلا خطية . فلا يستطيع إنسان كان خاطئا أن يكفِّر عن آخرين إذا دفع حياته جزاء للخطايا (عبرانيين 7 : 26) . فلا يمكن إلا لوسيط بشري حقيقي ، اختبر كل ضعفات الجنس البشري - إلا انه لم يستسلم لتجربة ما - أن يجتاز طواعية في مصاعب ومحن وتجارب الإنسان .

والرب يسوع المسيح هو هذا الوسيط المثالي (عبرانيين 2 : 17 - 18، 4 : 15 ، 5 : 2) . ليس ذلك فحسب ، بل إنه مثال بشري كامل لنا ؛ كي نقتفي إثره (متى 11 : 29 ،

يوحنا 13 : 13 - 17 ، فيلبي 2 : 4 - 8 ، عبرانيين 12: 1 - 3 ، 1بطرس 1 : 21) .

إنسان الآن وإلى الأبد

رأينا أن أسفار العهد القديم أعطت الوعد بمجيء ابن الله الأزلي فيما بيننا كانسان ، ورأينا إتمام ذلك الوعد . ولكن لا يجب الظن بتاتاً بأن الرب يسوع المسيح كان إنسانا خلال حياته على الأرض فقط ، وأنه لم يكن كذلك عند قيامته أو عند صعوده إلى السماء . هو لازال - وسيظل إلى الأبد - إنساناً .

**** هو إنسانٌ مقام :***

لقد قام من الأموات إنسانا : " فإنه إذ الموت بإنسان ، بإنسان أيضا قيامة الأموات " (1كورنثوس 15 : 21) . فالقيامة سر من الأسرار ؛ وطبيعة جسد القيامة لهي فوق إدراك العقل البشري (1كورنثوس 15 : 35 - 44) . ومع ذلك، يؤكد لنا العهد الجديد أن جسد الرب يسوع بعد القيامة لم يكن جسداً حقيقياً فحسب، بل أيضا كان ذات الجسد الذي قُبر . وهذا بالضبط ما سبق وتنبأ به المسيح نفسه (يوحنا 2 : 19 - 21) . ولقد أُشير إلى قيامته من أول العهد الجديد وإلى آخره على أنها إثبات معجزي لحقيقة إرساليته ، لكن لو لم يقم جسده - حرفيا - من الموت ، ما كان هناك أمر معجزي في حياته المستمرة .

ولقد اشترك الكتّاب الموحى لهم من الروح القدس جميعاً في إظهار هذه الحقيقة ، أن هذا الإنسان الذي قُدم للموت ، قام ثانيةً في ذات الجسد بعينه ؛ الذي كان له قبلاً ؛ وكل التفاصيل الأخرى التي ذكرت ، مثل دحرجة الحجر ، والأكفان الخاوية ، إنما تثبت ذلك . وحقيقة أنه لم يقم من الأموات إلا في اليوم الثالث لموته؛ تؤكد أن القيامة كانت حدثاً ماديّاً وليست مجرد اختبار روحي ، ونحن أيضا نقرأ كيف شوهد جسده ، ولُمس وفُحص في فترة الأربعين يوماً بعد قيامته ، حتى أن قيامته الجسدية تصبح حقيقة لاشك فيها ولا خلاف عليها. فهو لم يشاهد في بزوغ الفجر أو في عتمة الليل فقط ، ولكن - ولمرات عديدة - في وضح النهار أيضا . وكان جسده مرئياً وملموساً تماماً كما كان من قبل.

ويسوع المسيح نفسه تحدَّي الظن بأن جسده المقام كان روحياً صرفاً ، إذ نقرأ في (لوقا 24 : 37) أن التلاميذ " جزعوا وخافوا ، وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم " ما بالكم مضطربين ؟ ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم ؟ انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو ! جُسُّوني وانظروا ، فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي " .

وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه . وبينما هم غير مصدِّقين من الفرح ، وهم متعجِّبون ، قال لهم : أعندكم ههنا طعام ؟ " فناولوه جزءاً من سمك مشوي ، وشيئاً من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم " .

ومن معرفتنا عن طبيعة جسد القيامة ، فلم يكن المسيح بحاجة لأن يأكل طعاماً . وكان غرضه من ذلك هو أن يقنع تلاميذه المتشككين والمتسائلين ، أنه هو هو ذات الإنسان بعد قيامته كما كان قبلا .

ويبقى البرهان الأخير على أن جسد الرب يسوع المقام هو ذاته الذي مات ، في حقيقة وجود علامات الصلب فيه (يوحنا 20 : 27) . ومع ذلك فقد حمل في جسده خصائص معَّينة ليست لأجسادنا نحن أو لجسده قبل موته . لقد كان له خصائص جديدة فمثلا ، يحكي البشيرون أن ربنا اجتاز خلال ثقل أربطة الأكفان ، وخلال القبر المنحوت في الصخر (يوحنا 20 : 5 - 8 ، متى 28 : 1 - 2) . وأن دحرجة الحجر عن باب القبر حدثت بعد ترك المسيح له ! فلم يكن الغرض من ذلك إتاحة الفرصة كي يخرج المسيح ، بل لكي يدخل التلاميذ إلى داخل القبر! أيضا – وبالتأكيد - إجتاز ربنا خلال الأبواب المغلَّقة لكي يزور تلاميذه (يوحنا 20: 19 ، 26) . فقد حدث تغيير واضح في جسده حتى أنه مع سهولة التعرف عليه ، أصبح من الممكن أن يصبح غير مرئي ، لو أراد ذلك ، وأصبحت له القدرة على الظهور أو الاختفاء الفجائي بصورة مذهلة (انظر لوقا 24 : 31 ، 36 ، يوحنا 20 : 13و 21 : 4 ، 12) .

كيف نقول إذن إن ربنا يسوع قام بنفس جسده الذي مات به ، ونقول - في ذات الوقت - إنه جسد مختلف ؟ وللإجابة على هذا التساؤل نقول إن قيامة المسيح لم تشتمل

فقط على رجوعه للحياة الثانية . لم تكن قيامته مجرد إعادة اتحاد جسده وروحه البشريين . فلو كان ذلك هو كل ما حدث في قيامته ، لما قيل عنه أنه " باكورة الراقدين " (1كورنثوس 15 : 20) ، ولا صار " بكر من الأموات " (كولوسي 1 : 18 ، رؤيا 1 : 5) ، إذ أن كثيرين قبله عادوا إلى الحياة مرة أخرى . ولكن المسيح استحق هذه الألقاب لأن فيه استردت الطبيعة البشرية ـ الجسد والنفس معاً ـ كمالها وقوتها الأصلية ، بل أنها حلقت لآفاق أسمى وأعلى . ومع أن جسده المقام لم يكن بأي حال ، جسماً أثيرياً غير مادي ، إلا أنه كان قادراً على إجتياز مجالات العالم الروحي غير المنظور . كان أداة كاملة للروح . ومع بقائه إنساناً بالتمام ، إلا أن ربنا لم يكن مقيَّدا بحالة اتضاعه السابقة . وكانت الحياة الطبيعية لربنا بعد قيامته هي هذه الحياة السماوية ، غير المنظورة للعيون البشرية، بجسده المهيأ لهذه الحالة. كانت ظهوراته المتكررة تفضُّلاً كريماً منه لأجلنا ، لكي يعطينا اليقين تماماً أن ذاك الإنسان الذي مات هو الآن حي إلى الأبد، ولا يزال إنسانا ، ولكنه قادر بجسده وروحه معاً أن يتحرك في مجالات أعظم وأمجد. فلم يعد مقيداً بالأرض بعد .

وبهذا أوضح ما ستكون عليه حالة المفديين من البشر في الأبدية ، وكيف أنها ستختلف تماماً عما افترضه فلاسفة اليونان من حالة التجرد من الجسد . ففي الأبدية ، لن نكون أرواحا بلا أجساد ، بل ستكون لنا أجساد ولكن ممجدَّة!

**** صعد إنساناً :***

استمر ربنا يسوع في إظهار نفسه مدة أربعين يوما لتلاميذه ليبرهن لهم بالدليل القاطع أنه حي . " أراهم أيضا نفسه حياً ببراهين كثيرة ، بعد ما تألَّم ، وهو يظهر لهم أربعين يوماً (أعمال 1 : 3) . وقد كانوا " بطيئي القلوب في الإيمان " (لوقا 24 : 25) ، ولم يكن من السهل اقتناعهم بأن من يرونه الآن حياً بينهم هو ذاته المسيح الذي مات . ولكنهم على مدى ما يقرب من ستة أسابيع متصلة تلقُّوا أقوى البراهين الممكنة ، والتي كانت كافية تماماً لاقناعهم، حتى لم يعد أحدهم يشك ثانيةً في صدق هذه الحقيقة ، إلى الحد الذي فيه دفع معظمهم حياته ثمناً لشهادته الشجاعة عن قيامة المسيح ، إذ أنهم لم يستطيعوا إنكار ما رأوه واختبروه. فالرجل الذي عاش ومات أصبح حيّاً ثانيةً .

إنه كان ذات الرجل الذي رأوه يترك الأرض بطريقة متفقة تماماً مع انجازاته المعجزية في حياته وأعماله . فالرجل الذي مات كان هو ذاته الذي قام ، وهو أيضا الذي صعد . لم يكن رحيله النهائي عنهم مجرد اختفاء عن انظارهم ، كما حدث في عمواس . فلو كان هذا ما حدث ، ما كان ممكناً أن يتيقنوا من عودته ثانيةً . لكن في هذه المرة " ارتفع وهم ينظرون ، وأخذته سحابة عن أعينهم.. كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق .. " (أعمال 1 : 9 ، 10) .

لم يكن ربنا بحاجة إلى أن " يرتفع " كي يرجع لأبيه ، ولكنه اختار هذه الطريقة لرحيله كي يقنعهم ألا يتوقعوا ظهوره لهم مرة أخرى . فهذه الحادثة كانت حقيقية وهادفة ، لكنها كانت رمزية أيضا ، فأية طريقة أخرى لرحيله لم تكن لتترك الانطباع الصحيح . لقد كان راجعاً إلى السماء التي منها أتى لكنه كان راجعاً كإنسان !

ظل المسيح المتجسد المقام يتحادث ويتواصل معهم مدة أربعين يوماً . انه هو الرب الصاعد الآن أمام أعينهم . كل ما أُعِدَّ حول هذه الحادثة أُعِدّ بدقة كي يؤكِّد لهم أنه كان إنسانا أثناء صعوده كما كان قبلاً . فما رنَّ في آذانهم بالتعليم النهائي كان هو صوتاً بشرياً ، واليدان اللتان امدّتا لتباركهم إنما كانت يدين بشريتين (لوقا 24 : 50) . وكان جسداً بشرياً ذاك الذي صعد من البقعة التي قادهم إليها قبل قليل . وفيما كانوا واقفين يشخصون إلى السماء ، حجبته سحابة عن أنظارهم ، وظهر لهم ملاكان ، يتكلمان عن سيدهم - الصاعد إلى السماء وغير المنظور لهم الآن - مستخدمين اسمه البشري (إعمال 1 : 11). لقد قيل لهم إن الرب الذي تركهم ساعتها هو ذاته سوف يأتي ثانية يوما . وتركوا جميعاً جبل الزيتون ، وكل منهم على يقين أن هناك إنساناً في السماء الآن .

كان الصعود صعوداً مرئياً لشخص الوسيط بطبيعته البشرية ، من الأرض إلى السماء " يسوع الناصري رجل ... ارتفع بيمين الله " (اعمال 2 : 22، 33) . كان انتقالاً ، من مكان إلى آخر . ولابد لنا أن نشير هنا أن الصعود تضمَّن تغييراً إضافياً في الطبيعة البشرية للمسيح ، تماماً كما فعلت قيامته من قبل، فلم تؤثر أي من القيامة أو الصعود

بالسلب على طبيعته البشرية . ولكن تحولت الآن طبيعته البشرية إلى ملء المجد السماوي ، وتلاءمت تماماً للحياة في السماء . إنه هو يسوع نفسه ، إنسان كما كان قبلاً ، ولكنه ممجَّد الآن في أسمى درجات المجد . فالمجد الذي كان له على الأرض، لم يكن ذات المجد الذي كان له مع الآب قبل كينونة العالم . لقد عاد ذاك الذي هو الآن إنسان ، عاد " فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة ، وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضا " (أفسس1 : 21) .

**** رئيس كهنتنا الأعظم :***

يحب المؤمن أن يتأمل في عظمة الرب يسوع المسيح . وحين كان بيننا أخبر أعداءه أنه " من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة " (متى 26: 64) . ومن العجيب أن تعرف أن قائل هذه الكلمات له الآن هذه المكانة المجيدة ، التي بها رآه كل من استفانوس وبولس (أعمال 7 : 56 ، 9 : 4 - 6)، وهذا ما سر الرسل أن يعظوا عنه ؛ (أعمال 2 : 33 - 36 ، 5 : 31)؛ وهذا ما وصف به في الرسائل دائماً (رومية 14 : 9 ، فيلبي 2 : 9 ، عبرانيين 2 : 7 ، 8 ، 1بطرس 3 : 22) . وبهذا المجد نراه في السفر الأخير من الكتاب المقدس (رؤيا 3 : 21 ، 22 : 1) . فالإنسان الذي نزل إلى أقسام الأرض السفلى ، هو نفس الإنسان الذي " بعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة ، جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عبرانيين 10 : 12) .

ولا يجب أن نفهم عبارة " عن يمين الله " بمعناها الحرفي ، إذ أنها أستخدمت فقط كي تستطيع عقولنا المحدودة المتواضعة إدراك حق عظيم وعميق . فتأتي هذه العبارة - بما لا يترك مكانا للشك - من (مزمور 110 : 1) " اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك " . لقد كان الجلوس عن يمين الملك علامة من علامات الكرامة والعظمة (1ملوك 2 : 19) ، لكنها علامة تعني المزيد حين يكون المقصود بها هو يسوع المسيح . إنها تعني أن المسيح – كوسيط - يسود نيابة عن أبيه على العالم والكنيسة . لقد فعل ذلك دائماً كابن الله الأزلي ، ولكنه تعين جهاراً لتلك المكانة بعد صعوده كإنسان ، أو بأكثر تحديداً كالله - الإنسان .

ولا تشير عبارة " الجلوس عن يمين الله " إلى أن حياة الرب الذي صعد إلى السماء هي حياة الراحة . فلا يجب أن نظن أن جلوسه هذا مجرد مستقبل سلبي للسلطان والقوة الإلهيتين ، للجلال والمجد والعظمة ، لكنه منشغل تماماً بعمله كوسيط من قبل أبيه .

ولا يتطرق هذا الكتاب إلى عمل المسيح ، ولكنه يبحث عن شخصه . ومع ذلك ، فمن الأهمية بمكان أن نلاحظ أنه ما كان له أن يتمم العمل الذي يقوم به الآن ما لم يكن هو بما هو عليه (who he is) . وهذا يتفق تماما مع عمله الحالي كرئيس كهنة . فلو لم يظل الرب يسوع المسيح إنسانا حتى الآن ما تسنى له أن يكون رئيس كهنتنا العظيم .

وعندما نقول إن المسيح هو رئيس كهنتنا ، فنحن نعني أنه يقدم ذبيحته الكاملة للآب باستمرار ، كأساس كاف لغفران الله الممنوح للخطاة ، وكأساس لقبولنا المستمر أمام عرش الله ، وكأساس لاستجابة صلواتنا وتقدير خدمتنا . ولو لم يكن المسيح إنسانا لما استطاع أن يتكلم عنا أمام الله . والحقيقة التي تجلب لنا تعزية دائمة هي أنه " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح " (1تيموثاوس 2 : 5) .

لكن كيف يمكن لوسيطنا أن يضمن قبولنا لدى الله إن لم يكن هو الله ذاته؟ وكيف يمكن أن يمثلنا أمام الله بصدق إن لم يكن إنساناً أيضا ؟ وهذه النقطة الأخيرة لا تعالج مسألة منطقية فحسب ، ولكنها مطلب لاهوتي ، فمن يكلم الله نيابة عن الإنسان لابد أن يكون " مأخوذاً من الناس " (انظر عبرانيين 5 : 1 ، خروج 28 : 9 ، 12 ، 21 ، 29) . لابد له أن يرتبط بهؤلاء الذين يمثلهم بأربطة البشرية . فلا يوجد طريق أخر به يكون " قادراً أن يترفق بالجهال والضالين " (عبرانيين 5 : 2) . ولكونه بلا خطية بخلاف كل الكهنة البشريين الآخرين ، لذلك تتهلل الأسفار المقدسة لأن كل المتطلبات الأساسية لرئاسة الكهنوت مستوفاة في شخص ربنا يسوع المسيح (عبرانيين 5: 1 -9). وقد بنى لاهوت خدمة المسيح كرئيس كهنة ، كما جاء في الرسالة إلى العبرانيين ، على أساس أن المسيح لا يزال إنسانا .

عندما نجرب ، فهو قادر أن يسندنا ويساعدنا ، لأنه يعلم تماماً حقيقة ما نجتاز به . إنه يفهم مشاعرنا البشرية ويرثي لضعفاتنا لأنه ما من تجربة نجتازها في حياتنا إلا وقد سبقنا هو إليها - باستثناء تجربة واحدة فقط ألا وهي أنه لم يستسلم قط لتجربة الوقوع في الخطية . هو قادر أن يتعامل برفق وأن يعطينا المعونة التي نحتاجها (عبرانيين 2 : 14 - 17، 4 : 14 - 16). فلا يستند حنانه على مجرد أنه " يتذكر " ماذا يعني أن تكون إنسانا ، إذ أنه لا يزال إنسانا حتى اليوم " يسوع المسيح .. هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " (عبرانيين 13 : 8) - هو الإنسان الذي مات وقام و " هو حي في كل حين ليشفع (فينا) " (عبرانيين 7 : 25) .

**** هو إنسان في مجيئه :***

يباشر الإنسان يسوع المسيح عمله كرئيس كهنة في السماء وبعيداً عن أعيننا – ولكنه لن يظل مخفيا عن أعيننا ، فالله في النهاية سوف " يرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبلاً . الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر " (أعمال 3 : 2، 21). حينئذ يأتي " إستعلان الرب يسوع المسيح من السماء مع ملائكة قوته " (2تسالونيكي 1 : 7) . " هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض . نعم آمين " (رؤيا 1 : 7) .

سوف يكون مجيء المسيح الثاني أعظم في المجد من صعوده بما لا يقاس . فالصعود لم يره سوى نفر قليل من الناس ، لكن مجيئه الثاني ستشاهده كل البشرية - وفي صعوده لم يكن سوى ملاكين على جبل الزيتون ، لكن في مجيئه الثاني سترافقه كل ملائكة السماء . مع ذلك أيضا ففي مجيئه ثانية سوف يحدث عكس ما حدث في صعوده . فبدلاً من أن يرتفع إلى أعلى " الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء " (1 تسالونيكي 4 : 16). وبدلاً من أن تحجبه سحابة عن الأعين " كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان " (متى 24: 27) . سيكون المجيء هو التحقيق التام للوعد الملائكي القائل " إن يسوع هذا

الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء " (أعمال 1 : 11) .

يسوع نفسه ! الرب ذاته ! واضح تماماً أن المجيء سيكون عودة ذات الشخص الذي صعد إلى السماء منذ قرابة ألفي عام . هو الله - الإنسان الذي وعد قائلا " آتي أيضاً " (يوحنا 14 : 3) و " ها أنا آتي سريعا ! " (رؤيا 22 : 7) ، وسيفي بوعده . عند صعوده توخت الملائكة الدقة (في استخدام اسمه البشري) عندما تحدثت عن مجيئه ، وكذلك بولس في (2تسالونيكي 1 : 7) المذكورة سابقاً سيكون مجيئه بحق هو " يوم الرب " (2بطرس 3 : 12) ، كما أنه سيكون " مجيء ابن الإنسان " (متى 24 : 37) . فالذي تركنا إلى السماء كان إنساناً ، وهو إنسان أيضا ذاك الجالس عن يمين الله ، وسيأتي كإنسان ، المسيح الذي لا يعتريه أي تغيير .

وقد اهتم العهد الجديد بإبراز هذه النقطة وتأكيدها ، فمجيئه سوف يكون بجسده وستراه كل عين . وفي حديثه عن هذه الحادثة البالغة الأهمية ، يتكلم الكتاب المقدس عن " جسد مجده " (فيلبي 3 : 21) ، " الرب نفسه بهتاف " (1تسالونيكي 4 : 16) ، ويذكرنا بأننا سوف " نكون مثله لأننا سنراه كما هو " (1يوحنا 3 : 2) . سوف " يظهر " (كولوسي 3 : 4 ، عبرانيين 9 : 28) في ذلك اليوم . وأي مجد هذا الذي سوف يظهر . إنه " مجد الله العظيم " (تيطس 2 : 13) عند " استعلان الرب يسوع من السماء (2تسالونيكي 1 : 7) " وستنظره كل عين " (رؤيا 1 : 7) . ولا يذكر العهد الجديد أن المجيء سيكون روحيا ، أو غير منظور - فالرب يسوع المسيح الذي ترك عالمنا سيأتي ثانية إلى الأرض في جسد منظور لكل عين .

وبمجرد مجيئه ثانية سوف يفي ربنا بالوعد المكتوب في (يوحنا5 : 28 ، 29) " لا تتعجبوا من هذا . فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة " . قيامة الجنس البشري هذه تعطي برهاناً آخر على استمرارية طبيعة المسيح البشرية . ويوضح العهد الجديد أننا سنقوم بذات الأجساد التي كانت لنا وقت موتنا ، إلا أن هذه الأجساد سوف

تتغير (1كورنثوس15 : 51 ، 52 ، فيلبي 3 : 21) . وحيث أن أجساد المؤمنين هي أعضاء المسيح ، ومملوكة له ، لذلك فان قيامتها سوف تماثل تماماً قيامته هو، وقد درسنا فيما سبق ماذا يعني هذا بالنسبة له . إنه " سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن الرب يخضع لنفسه كل شيء " (فيلبي 3 : 21) . هذه الكلمات تصبح بغير ذات معنى لو لم يظل الرب نفسه إنسانا في قيامته .

ويخبرنا الكتاب أنه بعد هذا ، فإننا جميعنا - سواء المؤمنين المقامين أو أولئك المؤمنين الذين سيكونون على قيد الحياة عند مجيء الرب - " سنخطف جميعاً .. في السحب لملاقاة الرب في الهواء " (1تسالونيكي 4 : 17) . سيجتمع المؤمنون جميعاً بربهم بأجسادهم . وهو نفسه لن يوجد في كل مكان ، بل في مكان ما لكي يجتمع بالجسد مع شعبه ، ماذا يعني كل ذلك إلا أنه مازال يحتفظ بالطبيعة البشرية ، وأنه بهذه الطبيعة لا يمكن أن يوجد في وقت ما إلا في مكان واحد ؟ سيظل ربنا إنساناً حتى في اليوم الأخير .

وبعد القيامة ، سيدين العالم كإنسان . فابن الإنسان هو الذي سيميز الشعوب بعضهم من بعض ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، وذلك عندما تجتمع أمامه كل الشعوب (انظر متى 25 : 31 ،32) . إنه ذات الإنسان الذي أقامه الله من الموت " لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات " (أعمال 17 : 31 ، انظر يوحنا 5 : 22 ، أعمال 10 : 42 ، 2تيموثاوس 4 : 1) . وامتياز دينونة العالم - في جوهره - هو للمسيح الإله ، ولكنه أيضا وهب له - كإنسان - كمجازاة له لطاعته حتى الموت موت الصليب ، وكجانب من جوانب تمجيده وتعظيمه (يوحنا5 : 27 ، فيلبي 2 : 9 ، 10) . وهذا أيضا سر ليس لنا إلا أن نسلم به ، إذ أنه فوق إدراكنا . وسيصل تمجيد الإنسان يسوع المسيح إلى أوج عظمته في اليوم الأخير ، عندما " تجثو ليسوع (من يحمل الاسم البشري) كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض . ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب " (فيلبي 2 : 10 ، 11) .

سيظل الرب يسوع المسيح إنسانا . فعندما اتخذ لنفسه طبيعتنا البشرية في أحشاء مريم العذراء ، اتخذ هذه الطبيعة للأبد . فهو لا يستطيع أن ينحي جانباً طبيعته البشرية دون أن يتخلى عن اسمه " يسوع " ودون أن يكف عن ان يكون " ابن الإنسان " . لكنه منذ قيامته ، لم يعد مثلنا ، في الوقت الحالي مقيداً بمحدودية الحياة البشرية على الأرض ، ومع ذلك لم يتخل عن الصفات البشرية الأساسية . فلو كان في استطاعتنا إماطة اللثام - ولو قليلا - لنلمح البعد السماوي ، لكنا قد هتفنا مع استفانوس الذي قال " ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله " (أعمال7 : 56) ، إذ هكذا سيكون المشهد دائماً .

المسيح – شخصه الواحد
شخص واحد

رأينا فيما سبق أن الرب يسوع المسيح هو بالحقيقة الله ، وهو أيضا بالحقيقة إنسان ، بعد أن أصبح بطريقة معجزية واحداً من الجنس البشري لكن بلا خطية . ومع ذلك هو شخص واحد كما سنرى في هذا الفصل .

**** مجمع (خلقدونية) :***

بادئ ذي بدء لابد من ذكر مجمع خلقدونية الكنسي القديم كنقطة بداية لهذا الموضوع . فخلال القرنين الأول والثاني للكنيسة ، كانت الدعوة للرجال والنساء المؤمنين للدفاع عن إيمانهم ضد كل المقاومات الوثنية . وخلال القرنين الثالث والرابع ، أصبح الهجوم أقل تعميماً ، وركز الشيطان جهوده في السعي لإفساد عقيدة الثالوث . ولكن بمجرد أن تغلبت الكنيسة على هذا الهجوم، حتى بدأ هجوم آخر على عقيدة شخص المسيح .

وفي الفصل التاسع سوف نتطرق إلى بعض هذه البدع والهرطقات التي ظهرت في تلك الحقبة . يكفينا في هذه المرحلة أن نقول أن الكنيسة - في ضوء هذه الهجمات - حددت وعرفت العقيدة الحقيقية لشخص المسيح في مجمع خلقدونية في عام 451 من الميلاد . وفي فترة تزيد على قرن من الزمان وضع تقريبا كل تفسير معقول للمعلومات الكتابية . ولكن أخيرا صيغ قانون للإيمان نجح إلى حد كبير في الحفاظ على التعاليم الأساسية التي تمدنا بها كلمة الله من المعتقدات الخاطئة المدمرة .

ويوجد الجزء الرئيسي من " قانون الإيمان النيقوي " في ملحق هذا الكتاب، ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن هذا القانون يركز على حقيقة أنه في المسيح إتحدت

طبيعتان كاملتان ومتميزتان عن بعضهما . اللاهوت والناسوت متحدان في شخصه الواحد دون تحول ، أو اختلاط ، أو امتزاج ، كما جاء في " إقرار ويست منيستر " عام 1646 تلخيصا لما ورد في بيان خلقدونية . كان مجمع Chalcedon حريصاً على إقرار ما خرجنا به نحن من دراسة الأسفار المقدسة ، وكما قدمناه في هذا الكتاب حتى الآن . فلربنا يسوع المسيح طبيعتان ، ولكنه ليس أبداً شخصين ، فالخصائص المميزة لكل طبيعة على حدة محفوظة ، ومتحدة في شخص واحد وجوهر واحد ، وليست مجزأة أو مقسمة إلى شخصين بل شخص واحد ، هو الابن الوحيد ، الله الكلمة ، الرب يسوع المسيح .

كان نص خلقدونية سلبياً أي دفاعياً بالدرجة الأولى ، ولا يجب أن يدهشنا ذلك لأن غرض المجمع كان حماية الكنيسة ضد الآراء المضلة . لقد أوضح المجمع بأسلوب منهاجي ما تعلمه الكتب المقدسة بخصوص شخص المسيح ، ولكنه لم يحاول أن يشرح هذا السر . وكان ذلك صواباً لأن هذا السر لا يخضع لتفسيرات طبيعية . فقد قرر المجمع - ببساطة - ما يعلمه الكتاب المقدس ، ولكن ذلك لم يكن لأي عقل بشري أن يدركه : الرب يسوع المسيح هو إله وإنسان في شخص واحد .

اتضح في إقرار خلقدونية الحق العظيم بأن ابن الله السرمدي اتخذ لنفسه جسم بشريتنا ، ولم يعط أي انطباع بأن يسوع الإنسان اكتسب اللاهوت . ومضت القرون ، وصيغت قرارات عقائدية جديدة في صورة قوانين إيمان ، وعقائد وشرح أصول الإيمان واستخدمت ثم نسيت ، ولكن لم تحقق الكنيسة ما هو أبعد من خلقدونية ، ويظل القانون الذي تمت صياغته في ثلاثة أسابيع فقط لا غير في أكتوبر من عام 451 هو الأفضل في هذا الموضوع . أما بالنسبة لنا ، فإننا نحتاج أن نقنع ذواتنا أن إقرار خلقدونية ، ليس هو التعبير الصحيح لتعليم الأسفار المقدسة ، لكنه لا يتعدى مجرد الدراسات اللاهوتية البشرية التي وضعها 630 من الأساقفة القدامى.

***** تعريف لبعض المصطلحات :**

لابد لنا أن نفهم بوضوح الفارق بين كلمتي " الطبيعة " و " الشخص " ، قبل أن ندرك معنى ما قيل في مجمع خلقدونية .

عندما نضم كل المكونات الأساسية لأي شيء - تلك المكونات التي تكون هذا الشيء - فإننا نحصل على " طبيعة " هذا الشيء - فمثلاً تحتاج الطبيعة البشرية إلى جسد حقيقي مادي ، يتكون من المواد الكيماوية الضرورية له ، والتي ترتب وتنظم لتكون الأعضاء التي يتآلف منها الجسد بكامله . وإلى جانب هذا ، يوجد الجزء غير المنظور والمعطى من الله في طبيعتنا البشرية ، الذي يعطي الحياة وهو ما نطلق عليه " النفس العاقلة " .

وكما رأينا ، فقد كان - ومازال - للمسيح هذه الطبيعة وللمسيح أيضا طبيعة إلهية . وهذا يعني أن المسيح له كل الصفات اللاهوتية في جوهر واحد غير منقسم . بمعنى آخر ، فهو لا يتكون من الأزلية ، وعدم التغير ، القداسة... الخ . مضافة إلي بعضها البعض ، ولكنه كله أزلي ، وكله ثابت بلا تغير ، وكله قدوس ... الخ . فالرب يسوع المسيح له كل ما هو ضروري للوجود كإنسان وللوجود كالله أيضا . وهذا ما نعنيه حين نتكلم عن "طبيعتيه ".

ونحن نعني بكلمة " شخص " أن شيئاً ما يضاف إلى تلك الطبيعة - ليعطيها تميزها . فنحن كبشر لنا جميعاً نفس التركيب الكيميائي ، وتختلف أجسادنا عن بعضها البعض في مظاهر ثانوية . وأعضاء أجسادنا متماثلة ، وإن اختلفت فقط في الحجم والشكل . ولكن كل إنسان يختلف عن الآخر . وكل له ذات مختلفة عن الآخر . وكل إنسان له كيان مستقل خاص به ، فهو ليس مجرد مجموعة صفات أساسية ، لكنه قادر على التمييز ، ومسئول مسئولية شخصية عن أفعاله . ويعلم قانون إيمان خلقدونية بأنه مع أن للمسيح كل ما هو ضروري لوجوده كإله ، وللوجود البشري كانسان ، إلا أنه كان هناك يسوع واحد . ولم توجد ذاتان في الله الإنسان . فلطبيعة

المسيح اللاهوتية وجود مستقل منذ الأزل ؛ وحتى اللحظة التي حبل به في أحشاء العذراء مريم ، وكان الشخص الذي له تلك الطبيعة الإلهية هو ابن الله الأزلي.

إلا أن طبيعته البشرية لم يكن لها وجود مستقل البتة ، بل كانت منذ البداية متحدة بطبيعته الإلهية باتحاد سري مستديم . وهذا يعني أن شخص " الله – الإنسان " كان هو ذاته شخص ابن الله الأزلي قبل تجسده . لقد اكتسب طبيعة إضافية في أحشاء العذراء مريم ، لكنه استمر كائنا ذات الشخص الذي كان قبلاً . كان التجسد هو اتحاد - في شخص واحد - لكل ما يختص باللاهوت مع كل ما يختص بالناسوت . ونحن نقرر ثانيةً أن الرب يسوع المسيح هو إله وإنسان في شخص واحد .

**** تعريف أكثر دقة :***

دعنا نوضح كل ما سبق بصورة أدق لمنع أي التباس . فالرب يسوع المسيح شخص واحد . والآن هو ذات الشخص الذي كان دائما - الكلمة غير المتغير ، ابن الله الأزلي . وليس صحيحاً القول بأن شخص مخلصنا إلهي فقط. وأن تجسده جعله شخصا مركبا يمتلك طبيعتين . إنه الله - الإنسان .

وحقيقة أن للرب يسوع المسيح طبيعة بشرية ؛ لا تجعله شخصا بشريا . فالكلمة الأزلي لم يستعر شخصية بشرية ، حتى يكون هناك شخصيتان في المسيح. إنه - ببساطة - اتخذ طبيعة بشرية . لكن بينما نحن نملك شخصية خاطئة، فإن له شخصية الكلمة الأزلي . من ناحية أخرى ، من الخطأ القول بأن طبيعة المسيح البشرية مبهمة (impersonal) - وهو ما يقول به الكثير من الكتب اللاهوتية الجديرة بالثقة - ، فهم يتكلمون عن الجسد والنفس الحقيقيين ليسوع الناصري ، لكنهم لا يقرون بوجود ذات بشرية حقيقية تعبر عن نفسها من خلالهما . ونظرا للأهمية القصوى لما أعلناه سابقا فإننا نعلنها ثانية : إن طبيعة المسيح البشرية لم يكن لها وجود مستقل بذاتها ، ولكن هذا لا يعني أنها كانت مجردة من الذات البشرية . إن ذلك يعني - ببساطة - أن الذات البشرية إتحدت منذ بداءتها إتحاداً تاماً مع ذات ابن الله الأزلي ، فلم توجد البتة منفصلة عنه . وكما يعبر عن ذلك لويس بيركهوف " حتى نتوخى الدقة في كلامنا ،

لم تكن طبيعة المسيح البشرية مبهمة ولو للحظة . فقد اتخذ أقنوم الكلمة (اللوجوس) هذه الطبيعة لوجوده الشخصي ، فالطبيعة البشرية لها وجودها الشخصي في شخص الكلمة ، فقد كانت كيانا حقيقيا وليست معنوياً .

ونحن هنا نؤكد أن طبيعة المسيح البشرية لم تكن بأية حال ناقصة أو غير كاملة في شيء . فلم ينقصه أي عنصر أساسي للوجود الإنساني . لقد وجدت هذه الطبيعة البشرية تميزها ووجودها الشخصي في شخص ابن الله الأزلي . هذا لا يعني بالطبع أن المسيح لم يكن له شعور ووجدان البشر أو إرادة بشرية . فالشعور والإرادة تقعان ضمن العناصر الأساسية التي تكون الطبيعة البشرية ، فلم يكن للمسيح أن يوجد كإنسان بدونهما . فامتلاكه لطبيعة بشرية كاملة يعني امتلاكه لهذين العنصرين أيضاً . إذا بدا كل ما ذكر كلاماً معقداً وفي غير موضعه ، فدعنا نتأمل على الأقل في هذه الفقرة الأخيرة من هذا الفصل حتى نصل إلى إدراكها . فنحن نقول إن القدوس ، الذي له الطبيعة الإلهية منذ الأزل ، اتخذ طبيعة بشرية ، وهو يملك الطبيعتين الآن . وهو يظل ذات الشخص الذي كان قبلاً ، بينما هاتان الطبيعتان اللتان يمتلكهما متميزتان عن بعضهما ، منفصلتان ، ثابتتان وكاملتان .

**** برهان كتابي :***

يصعب على العقل البشري شرح وتفصيل هذا التعليم عن الطبيعتين في شخص واحد ، وبالتأكيد هو أسمى بكثير من إدراك عقولنا المحدودة . فنحن نناقش حقيقة فوق مجال فهمنا ، وليس لها نظير . ونحن نقبلها ، ليس على أساس فهمنا وإدراكنا لها ، ولكن لأن تعليم كلمة الله الواضح يحثنا على ذلك . ولا يمكن لأحد ان يؤمن بهذا الحق دون أن يكون مستعدا للخضوع لما أوضحه الله نفسه . ولكن بكل تحديد كيف يقدم لنا الكتاب المقدس هذا التعليم بالتحديد ؟

إنه يفعل ذلك في ثلاثة خطوط للتعليم . الأول : إخفاقه الكامل في تقديم أي برهان لنا عن شخصيتين لربنا يسوع المسيح . فلو كان هناك شخصية مزدوجة لمخلصنا ، لكان بديهياً أن نتوقع وجود دلائل لها في الأسفار المقدسة، وهو ما ليس له

وجود بالمرة ، ففي كل ما سجل عن ربنا يسوع المسيح لا توجد كلمة قالها ، أو عمل قام به ، أو صفة تنسب إليه توحي بأنه ليس شخصاً واحداً . ومع إدراكه التام بأنه إله ، وبأنه أيضا إنسان ، فليس هناك أدنى أثر بأن له شخصية مزدوجة له . لقد كان له مركزان للشعور ، ولكن مركزا واحدا لإدراكه لذاته . هذه الحقيقة غاية في الأهمية .

ونحن نجد أحيانا في الكتاب المقدس أقانيم الثالوث تتحدث معاً بلفظ " أنت " وأحيانا بلفظ " هو " .. الخ . ولكن لا نجد هذا التمييز بين الشخصيات في الحياة الداخلية للرب يسوع المسيح . فلا يوجد تبادل - أو تناوب - في لفظي " أنا " و"أنت" بين طبيعتيه . وقد استخدم الضمائر الشخصية دائماً كما لو كان شخصاً واحداً . كما أن يسوع لم يستخدم قط صيغة الجمع عند التحدث عن نفسه ، كما يستخدمها الله ، مثلا في (تكوين 1 : 26 ، 3 : 22 ، 11 : 7) . باستثناء واحد هو ما جاء في انجيل يوحنا 3 : 11 ، ولكن غالباً كان قصد المسيح من استخدام الضمير"نحن" في هذا العدد الإشارة إلى نفسه وأولئك الذين معه ، مقابل نيقوديموس ومجموعته . هذه الحقيقة لا يمكن دحضها ، فلم يفكر المسيح في نفسه بصيغة الجمع " نحن " ولكن استخدم لفظ المفرد " أنا " فقط . كان جلياً أن له طبيعتين ، ومع ذلك فقد كان مسيحاً واحداً فقط .

خط آخر للبرهان الكتابي نجده في الأسماء التي استخدمها كتَّاب العهد الجديد عند كلامهم عن المسيح . فكما تفكر هو عن نفسه ، كذلك فعل الرسل عنه أيضا . فنجد الفقرة تلو الفقرة تشير إلى كلتا الطبيعتين للمسيح ، لكنها تستمر توضح للأذهان ، أن المقصود هو شخص واحد . ففي رومية 1 : 3 ، 4 يتكلم بولس عن المسيح انه " من نسل داود حسب الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة ... " ولكن من هو ذاك الذي له طبيعتان ؟ أهو شخص واحد أم اثنان؟ يجيب بولس بصورة قاطعة بقوله إنه يكتب عن " ابن الله .. يسوع المسيح ربنا " .

مثال آخر مماثل نجده في (رسالة غلاطية 4 : 4 ، 5) حيث يكتب بولس " .. أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ... " ليس هناك أدنى تلميح على أن شخصين جاءا

ليفتديا الذين تحت الناموس ، بل واحد فقط . فكلتا الطبيعتين ممثلتان ومتحدتان في شخص واحد . ولهؤلاء الذين يودون مثالاً آخر لذات الفكرة عليهم التأمل فيما جاء بالرسالة إلى أهل فيلبي 2 : 5 - 11 ، أو أي جزء آخر يتكلم عن طبيعتي المخلص . وسوف يجدون أن الصورة واحدة في أي من تلك الأجزاء . ويذكر الكتاب المقدس بلا كلل أو ملل عن واحد " مع أنه الله وإنسان ، إلا أنه مسيح واحد وليس اثنين " (قانون الإيمان بحسب اثناسيوس) .

لكن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس يعلم أن اللاهوت ظهر معنويا في طبيعة بشرية . فلم يكن مجرد قوة سماوية (روحية) لا تحد أدمجت نفسها بالإنسان كلا البتة . فالصورة ثابتة عند هذه النقطة ، إذ أن الاقنوم الثاني من الثالوث المبارك ، ابن الله الأزلي نفسه ، اتخذ طبيعة بشرية . فالكلمة الأزلي " صار جسداً " (يوحنا 1 : 1 ، 2 ، 14) . فذاك الذي جاء في شبهنا ، في جسد بشري كان " ابن الله " ، " إلهاً مباركاً إلى الأبد " (رومية 8 : 3 ، 9 : 5 انظر أيضا 1تيموثاوس 3 : 16 ، عبرانيين 2 : 11 - 14 ، 1يوحنا 4 : 2 ، 3) .

**** الله - الإنسان :***

هناك خط ثالث من البرهان الكتابي الذي يمكن أن يمحو كل شك . هذا البرهان واضح حتى أنه لا مجال لأية بدعة ، مهما بلغ التواؤها ، أن تشوه الحقيقة ، لتحقق أهدافها . تلك الحقيقة هي أن ما هو حقيقي في إحدى طبيعتي المسيح ، لا يعزي لتلك الطبيعة بل لشخصه الواحد .

فقد كتب عنه بألقاب تعبر عن كلٍّ من الطبيعتين . ويتكرر التأكيد مراراً، أن صفات أي من الطبيعتين تنسب لشخصه ، بينما يطلق على ذاك الشخص لقب لا يلائم سوى الشخص الذي له الطبيعة الثانية . وهذا برهان قاطع على أن ذاك الذي له الطبيعتان إنما هو شخص واحد .

ربما تسبب الفقرة السابقة الحيرة لمن يدرس هذا الأمر المجيد للمرة الأولى ، لذا دعنا نقدم بعض الأمثلة . في نصوص عديدة من العهد الجديد ، نسبت صفات وأفعال بشرية لشخص له ألقاب إلهية . لقد كتب عنه بلقب مناسب لطبيعته الإلهية ، بينما الأفعال المنسوبة إليه توافق طبيعته البشرية . وما ورد في (أعمال20 : 28) هو تطبيق مثالي لهذا الكلام ، حيث يتكلم بولس عن " كنيسة الله التي اقتناها بدمه " . فالمخلوقات وحدها هي التي يمكن أن تسفك الدم ، بينما الله - الذي هو روح - لا يفعل ذلك . لكن المسيح استطاع أن يسفك دمه بفضل طبيعته البشرية . ولكن من هو المسيح هذا الذي افتدى الكنيسة هكذا ؟ هل كان مجرد مسيح بشري ؟ لا بل هو " الله " . فما كان ينطبق فقط على طبيعته البشرية قيل أنه تممه بشخصه الإلهي . ليس هناك مسيحان مسيح بشري وآخر إلهي . ليس هناك سوى مسيح واحد فحسب. ونحن نستطيع أن نتكلم عنه باعتباره " الله " ونتكلم عنه أيضا باعتباره الذي سفك دمه للفداء ، ذلك لأنه شخص واحد ذو طبيعتين .

وبنفس الكيفية يتحدث الوحي في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس 2 : 8 فيقول " صلبوا ... رب المجد " ، وفي كولوسي 1 : 13 ، 14 يتحدث عن " ابن محبته ، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا " . هل يمكن صلب الطبيعة الإلهية ؟ هل يمكن أن تسفك دماً ؟ هذه الأمور يمكن أن تحدث لطبيعته البشرية ، ومع ذلك فقد قيل إن الإله هو الذي افتدانا ، ولم يكن هذا سوى " رب المجد " . فلم يتم خلاصنا بواسطة مسيح ذي طبيعة بشرية فقط منفصلة ومتميزة عن طبيعته الإلهية . فما كان ممكنا عمله بواسطة الإنسان نسب لابن الله الأزلي . وما صنعه بمقتضى إحدى طبيعتيه لم ينسب لطبيعته الأخرى ، بل لشخصه الذي احتوى الطبيعتين معاً . كانت - ومازالت - له الطبيعتان ولكنه مسيح واحد .

وتعطينا أجزاء أخرى من العهد الجديد نفس هذه الصورة تماماً ، ولكن بصورة عكسية . فقد نسبت أعمال وصفات إلهية لشخص ذي ألقاب بشرية . لقد كتب عنه لقب مناسب لطبيعته البشرية ، بينما الفعل الذي فعله يتوافق فقط مع طبيعته الإلهية . فما لا يمكن عمله سوى بواسطة الإله ، قيل عنه بالتحديد أنه تم بواسطة شخص ذي

طبيعة بشرية مؤكدة . فمثلاً في (يوحنا 3 : 13) يتكلم المسيح عن نفسه كمن " نزل من السماء " ، ولكن يؤكد أن من عمل ذلك هو إنسان حين يقول عن نفسه " ابن الإنسان " . فما لا يستطيع أي إنسان أن يفعله ، تممه هو الإنسان ! ليس لأنه كان ذا طبيعة بشرية قبل مجيئه إلى الأرض ، لكن لأنه - ذاك الذي تحادث مع نيقوديموس كإنسان - كان ذات الشخص الذي جاء من فوق . لقد جاء من السماء بمقتضى طبيعته البشرية ، ولكنه كان نفس الشخص . ولهذا حيرهم المسيح بسؤاله لهم ماذا لو "رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً ؟" (يوحنا6 : 62) فاتخاذه طبيعة بشرية بالإضافة إلى طبيعته الإلهية لم يغير من حقيقة الذات الإلهية التي كانت ليسوع.

كل هذا أمكن حدوثه لأن المسيح - ذا الطبيعتين - إنما هو شخص واحد. فهو إذن يمكن أن يتسمى بألقاب إلهية أو بشرية ، ويمكن أن تنسب إليه الأعمال والصفات الإلهية وأيضا البشرية . فهو ما يزال الله أثناء موته ، وهو أيضا إنسان حين يقيم أناساً من قبورهم .

ومهما يفعل المسيح - كوسيط - إنما يفعله بمقتضى طبيعته ، ويجب أن نذكر دائماً انه بينما هو شخص واحد ، لكن تبقى طبيعتاه متميزتين ، وهذا ما سوف نرجع إليه مرة أخرى في الفصل اللاحق . وما يعمله بإحدى طبيعتيه فقط ؛ إنما هو عمله كشخص المسيح . ولكن ما يمكنه عمله بموجب إحدى الطبيعتين لا يجب أبداً أن ينسب لطبيعته الأخرى ، فلم يفعل الكتاب المقدس شيئا كهذا ، ولا يجدر بنا أن نفعل نحن أيضا . فالصفات والأعمال البشرية لا تعزي لطبيعة المسيح الإلهية والعكس صحيح . ولكن كليهما تنسبان إلى المسيح الواحد .

وكلما ازددنا عمقاً في دراسة الأناجيل ، قل ميلنا أن نعزو عملاً معيناً للمسيح إلى كونه الله ، وآخر إلى كونه إنسانا . فنحن لا نراه أحياناً كالله ، وأحياناً أخرى كانسان . لكن ما يبهرنا هو وحدة شخصه المبارك ، وما نلبث أن نذكره كالله - الإنسان ، الذي سلك في كل موقف باعتباره شخصاً واحداً .

وقد كتب جون كريسوستوم مقالاً بليغاً في هذا الصدد ، قال فيه " أنا لا أفكر في المسيح باعتباره الله فقط ، أو إنساناً فحسب ، بل الاثنين معاً . لأني أعلم أنه جاع ، وأعلم أيضا أنه اشبع خمسة آلاف بخمسة أرغفة . أعلم أنه عطش ، وأعلم أيضا أنه حول الماء إلى خمر . أعلم أنه ركب سفينة ، وأعلم أيضا أنه مشى على البحر . أعلم أنه مات ، ولكن أعلم أيضا أنه أقام الموتى . أعلم أنه وقف أمام بيلاطس ، وأعلم أيضا أنه جالس مع الآب في عرشه . أعلم أن الملائكة سجدت له ، وأعلم أيضا أنه رجم من اليهود . حقا أنا أعزي بعض هذه الأفعال لطبيعته البشرية والبعض الآخر لطبيعته الإلهية ، لأنه بسبب ذلك قيل عنه أنه الله وإنسان معاً . "

شخصية المسيح هي شخصية ابن الله الأزلي ، الذي في الوقت المعين اتخذ جسداً ونفساً بشريين ، في اتحاد بذاته ، لم يبتدئ هذا الشخص الفريد في الظهور، ولم يتكون في أحشاء مريم العذراء فقط لأنه قال في (يوحنا8 : 58) " قبل أن يكون إبراهيم ، أنا كائن " . فمع أنه كان له جسد فهو الله الأبدي المبارك ، فشخص المسيح أزلي ولم يتكون في وقت معين . ولكن في الوقت المعين اتخذ هذا الشخص الأزلي الإلهي طبيعة بشرية وشخصية بشرية في شخصه ، بالضبط كما يحدث للجسد بتكوينه البديع من أعضاء وأعصاب وحواس وأحاسيس ... الخ عندما ينمو داخل الرحم متضمنا النفس ، هكذا طبيعة المسيح البشرية منذ لحظة الحمل نمت في شخص ابن الله الأزلي . وهكذا ، فالمسيح شخص واحد بطبيعتين. فهناك طبيعة بشرية وأخرى إلهية ولكن الشخص هو ابن الله الأزلي . بدأت بشريته داخل أحشاء مريم العذراء ، ولكنْ شخصه موجود منذ الأزل . فلاهوته موجود في شخصه ، بينما ناسوته ذاتي ، وطبيعتاه الإلهية والبشرية في شخصه الواحد .

طبيعتان متميزتان

الطبيعتان الإلهية والبشرية اللتان للمسيح ؛ طبيعتان خالصتان متميزتان دون امتزاج أو اختلاط ، وستظلان كذلك وتشكلان شخصاً واحداً إلى الأبد. هذا هو الحق الذي سوف نصل إليه في هذا الفصل .

**** غنى عن البيان :***

لا تستطيع عقولنا إدراك أو تفسير كيف يتكون شخص واحد من طبيعتين مدركتين لذاتيهما ، قادرتين على تقرير مصيرهما . إلا أن هذا بالضبط ما تعلنه الأسفار المقدسة بخصوص ربنا يسوع المسيح .

وقد حاول البعض تبسيط الأمر ، ليتحاشوا بعض جوانبه الصعبة ، فافترض بعضهم أنه لم تكن للمسيح نفس بشرية ، بل أن روحه القدوس حل محل النفس في جسم بشريته . وباعد البعض الآخر بين طبيعتيه ليجعلوا منه شخصين – إلها وإنسانا متحدين معاً . وراح البعض الآخر إلى القول ؛ بأن التجسد أحدث تغييراً في إحدى الطبيعتين على الأقل ، إما أن الطبيعة الإلهية تناقصت وتأنست (وبذلك لم يعد من نفس جوهر الآب والروح القدس ولم يعد مساوياً لهما) ، أو أن الطبيعة البشرية فيه قد ارتفعت وسمت وتألهت باتحادها مع طبيعته الإلهية (وبذلك لم يعد واحدا منا) . ولكنْ فريق آخر نادى بان طبيعتي المسيح اندمجتا معاً ، واعتقد أعضاء هذا الفريق بأن لربنا طبيعة ثالثة نتجت من اندماج الطبيعتين معاً ، فلم تكن له طبيعة إلهية ولا طبيعة بشرية ، بل طبيعة في مستوى متوسط ما بين الطبيعتين .

وقد تم الرد على معظم هذه الأقاويل في هذا الكتاب . فقد رأينا أنه كان للمسيح نفسٌ بشرية حقيقية إلى جانب جسم بشري . ورأينا أنه شخص واحد ، مع أنه الله

وإنسان معاً . وأثبتت دراستنا كمال طبيعتيه . ففي الفصول الثلاثة الأولى لم نجد ما يقودنا إلى الاعتقاد بأن طبيعته الإلهية قد انتقصت بأي حال من الأحوال. ولم نجد في الفصل الرابع والخامس والسادس إلا إثباتا كاملا لهويته كواحد من جنسنا . فحقيقة أن طبيعتي المسيح استمرتا منفصلتين وغير ممتزجتين، هو حق غني عن البيان لكل دارس جاد للكتاب المقدس . فاللاهوت لم يتخلل الناسوت ، ولا أبتلع الناسوت من اللاهوت . وقد قال ليو الأكبر (الذي توفى في عام 461) في هذا الصدد " إنه ضم الطبيعتين بارتباط وثيق ، حتى أن الأدنى لم يبتلع باستقباله المجد ، ولا الأعلى نقص باتخاذه الوضاعة " .

رأينا مراراً أن المسيح احتفظ دائماً بكيانه إلهاً حقيقياً ، وهو الآن أيضا إنسان حقيقي . وليس هناك أية إشارة أو تلميح بأنه كان شيئاً متوسطاً بين الاثنين. ويجب أن يكون واضحاً أن الخصائص الأساسية للاهوت ؛ لا يمكن أن تختلط بالناسوت. فكيف يمكن لإنسان أن يكون سرمدياً ، كائناً بذاته وأزلياً؟ فلو أمكنه ذلك ، ما كان إنساناً ! بالاضافة إلى ذلك ، لا يمكن - حتى الله - أن يخلق إلهاً ، لأن اللاهوت أزلي وكائن بذاته وغير مخلوق ، فلا يمكن لبشر أن يتأله .

لا يمكن للجنس البشري أن يستوعب اللاهوت ، كذا لا يمكن للاهوت أن يمتص الناسوت . فإذا تقيد لاهوت المسيح بمحدودية البشرية ، لما استمر أن يكون إلهاً ، ولكن لا يوجد إله يتوقف عن الوجود ، إذ بحسب تعريفه أنه لازم الوجود ، لا يتغير وأزلي .

من ثم حيث أن المسيح هو الله وإنسان معاً ، كما رأينا ، بالتالي لا يمكن أن يكون مزيجاً من الاثنين ، لأن مثل هذا المزيج ليس إلها ولا إنساناً . ونحن هنا نكرر ثانية أنه إذا ما سلمنا بأن للمسيح طبيعتين ، فيتبع ذلك - كحق بديهي - أنهما بلا امتزاج ، ولا تغيير ، أو إنقسام ، أو انفصال ، واتحاد هاتين الطبيعتين لا يؤثر على اختلافهما عن بعضهما ، إذ أن السمات الخاصة بكل منهما محفوظة بلا مساس (خلقدونية) . فكيف يتسنى للطبيعة الإلهية أن تظل كما هي ، وللطبيعة البشرية أن تبقى كما هي ؛ لو لم تبق

كلٌ منهما متميزة تماماً عن الأخرى ، " بلا تغيير ، أو تعديل ، أو اختلاط " ؟ (اقرار إيمان ويست منيستر) .

*** التأثير على طبيعته الإلهية :**

يعرف الاتحاد الذي بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص الرب يسوع المسيح " بالاتحاد الأقنومي " . وحقيقة أن هذا الاتحاد لم يغير أي من الطبيعتين بأية حال ، أو يقلل من تميزها عن بعضهما ، لا يعني عدم تأثرها بهذا الاتحاد . فطبيعته الإلهية ، كانت - بطبيعة الحال - أزلية ، ثابتة بلا تغيير ، وغير قابلة للإضافة ولذلك ظلت هكذا بلا تغيير . واستمر العنصر الإلهي - الذي لا يتغير - في الوجود كشخص الكلمة الأزلي ، ولكن الآن متضمنٌ طبيعة بشرية كاملة متحدة مع شخصه . ثم أصبحت تلك الطبيعة البشرية أداة لإرادته . وبهذا تغيرت العلاقة بين الطبيعة الإلهية والخليقة ، مع بقاء هذه الطبيعة بلا تغيير . لقد صار ابن الله الأزلي " الله معنا " (متى 1 : 23) ، " الله ظهر في الجسد " (1تيموثاوس 3 : 16) .

ظلت الطبيعة الإلهية للمسيح - بطبيعة الحال - غير قابلة للألم والموت، لا تجهل شيئا ، وغير معرضة للضعف والتجربة . فلم تكن الطبيعة الإلهية هي التي اتخذت جسداً ، ولكنه " شخص " ابن الله هو الذي تجسد ، لذا كان يمكن أن يتعرض لعدم المعرفة والضعف ، والألم والموت ، ذلك لأنه اتخذ طبيعة إضافية معرضة لكل هذه الضعفات ، لكن ليس بسبب حدوث أي تغيير في طبيعته الإلهية.

لابد أن نوضح هنا أن خصائص كل من الطبيعتين - الإلهية والبشرية - اللتين للمسيح هي صفات وخصائص شخصه هو . فيمكن أن يقال عن شخصه أنه كلي القدرة ، كلي المعرفة ، واجب الوجود ... الخ . أيضا يمكن أن ندعوه رجل الأوجاع ، محدود القوة والمعرفة ، ومعرضاً لاحتياجات وآلام البشر . لكن لابد أن ننتبه جيداً ونتحفظ ضد أي ظن أو فكر بأن أيا مما يخص الطبيعة الإلهية اختلط بالطبيعة البشرية أو انتقل إليها ، أو العكس . لقد شارك المسيح في الضعفات البشرية ، مع أن اللاهوت لا يمكنه ذلك . ويشارك المسيح في الكمالات الأساسية للاهوت ، مع أن الطبيعة البشرية لا

يمكنها ذلك . وهذا ممكن لأنه شخص واحد ، الله - الإنسان . ولا يمكننا الافتراض بحدوث أي تغيير في أي من طبيعتيه، مع أننا نقر بأن اتحادهما لم يتركهما بغير تأثير .

**** التأثير على طبيعته البشرية :***

منذ بداية وجود الطبيعة البشرية للمسيح ؛ تمتعت بمجد اتحادها باللاهوت، الكلمة الأزلي ، فلم يكن لها وجود بمعزل عنه ، لهذا فمنذ بداءتها تسامت وتعاظمت جداً بما لم يحدث لأي من الجنس البشري من قبل ولن يحدث . لقد كانت كاملة تلقائياً ، إذ أنها إحدى مكونات شخص الإله . لم يكن ممكناً أن تخطيء . ولكن - وكما رأينا - عظمتها وسموها لم يمنعا ثباتها وعدم تغيرها، وعدم امتزاجها باللاهوت . إنها لم تنتقص بالاتحاد الأقنومي بل ظلت كطبيعة بشرية خالصة ومميزة .

إن هذا الاتحاد بابن الله القدوس ملأ طبيعة المسيح البشرية بالكمال العقلي والتميز الأخلاقي فوق أي من البشر الذين وجدوا على وجه البسيطة . لقد سر الآب أن يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً " (كولوسي1 : 9 ؛ 2 : 9) . لقد أظهر جسد المسيح " المجد كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً " (يوحنا 1 : 14) . لم يعط الآب " الروح بكيل " (يوحنا 3 : 34) ، فمما لاشك فيه أن هذه الطاقة الخارقة للطبيعة التي لله ، عظمت ومحصت الإرادة ، والإدراك وكل الخصائص البشرية الأخرى في المسيح لدرجات سامية لم تحدث من قبل في أي مخلوق آخر .

فقد أعطى للمسيح الإنسان المجد والكرامة أعلى من أي اسم آخر . ليس هذا فقط ، لكن طبيعته البشرية مدرجة في العبادة الواجبة له . نحن نعبده لأنه ابن الله الأزلي ، ويمتلك الصفات الإلهية . أما محط أنظارنا (ونحن نعبده) ، ليس الكمالات الإلهية مجردة ، بل شخصه القدوس ، الذي له الطبيعتان . فنحن نسجد أمام يسوع الإنسان ، ليس لأن أي إنسان يمكن أن يعبد ، لكن لأن هذا الإنسان على وجه الخصوص هو الله الذي ظهر في الجسد . إنه الله - الإنسان ، الذي نسجد عند قدميه بلا خجل .

لابد من التنويه عن أمر آخر ، ونحن نناقش موضوع المسيح كهدف للصلاة. فبسبب طبيعته البشرية ، فإن مخلصنا يتواجد في مكان واحد في الزمن الواحد . وفي هذه اللحظة ، هو في السماء ينوب عنا كرئيس كهنتنا الأعظم . ولكن بسبب طبيعته الإلهية ، فهو أيضا كائن في كل مكان ، وقادر على سماع صلواتنا كلها ، وهو قادر أن يتفهمنا جيداً أينما كنا ، متعاطفاً معنا جميعاً ، لأنه إنسان لكن في السماء . ولو رفع كل شعبه إليه صلاة في آن واحد ، هو قادر أن يتعاطف مع كل واحد منهم على حدة . وطاقاته البشرية لا يمكن أن تنفذ ، لأن كل أعماله الشفاعية تتضمن طبيعتيه . وهو يتعاطف معنا كإنسان ، وهو أيضا الله الصدوق . فالاتحاد الاقنومي يعني أننا نتمتع بكل مميزاته البشرية حينما - وأينما - نحتاجها ، بالرغم من محدودية وتمركز الطبيعة البشرية .

**** تشبيه متواضع :***

إن اتحاد طبيعتي المسيح في شخصه الواحد ؛ هو سر يعجز أي عقل بشري عن إدراكه . ولهذا السبب فإن رد فعل البعض هو إنكار هذا السر . أما البعض الآخر فقد حاولوا إيجاد تفسير مناسب بالبحث عن تشبيه مناسب .

لهذا شاع تشبيه اتحاد طبيعتي المسيح باتحاد الجسد والروح في الإنسان. من الناحية الظاهرية ، هناك بعض نقاط التشابه . نحن - رجال ونساء - صنعنا من أجساد على درجة عالية من النظام ، مكونة من مواد جامدة ، وروح تدرك وتتحرك وتقرر . هذان الاثنان متحدان تماماً ، ولكنهما غير مختلطين - تماماً كطبيعتي المسيح . فجسدنا وروحنا يكونان شخصاً واحداً، والجسد جزء من هذا الشخص . والشخص وهو أساس الوحدة مقره ليس الجسد بل الروح ، حتى أن الجسد يموت عندما تتركه الروح ، بينما يبقى الشخص بدون الجسد . كذلك في المسيح ، مركز الاتحاد هو الطبيعة الإلهية وليست البشرية . بالإضافة إلى ذلك ، فتأثير الروح على الجسد ، والجسد على الروح هو سر غامض ، تماماً مثل ارتباط الطبيعتين في شخص المسيح وتأثيرهما المتبادل على بعضهما البعض .

وتماماً كما أن كل ما يحدث في الجسد أو الروح ينسب إلى الشخص ، كذلك كل ما يحدث لطبيعتي المسيح إنما يعزي لشخصه ، وهذا صحيح بالرغم من تميز كل طبيعة عن الأخرى . ولا تنسب خصائص الجسد إلى روح الإنسان ، كما أن خصائص الروح لا تنسب إلى الجسد ، لكن خصائص كل من الجسد والروح مشتركة للشخص الواحد . وهكذا كثيراً ما يشار إلى الشخص باستخدام أساليب ملائمة لعنصر روحه فقط ، بينما ما يصدر عنه من أفعال إنما هي من صميم إمكانيات جسده ، والعكس أيضا صحيح . وهذا مشابه كثيرا لما لاحظناه فيما يختص بالمسيح . فقد نسبت كثير من الأمور التي تلائم طبيعته البشرية إليه حين تسمى بألقاب طبيعته اللاهوتية ، والعكس بالعكس .

ويمكن التوسع في استخدام هذا التشبيه ، فمثلاً ، كما أنه تعطي كرامة للجسد حين يتحد بالروح ، هكذا كرمت الطبيعة البشرية التي للمسيح باتحادها مع شخص ابن الله الأزلي ، ومع كل ذلك فهذا التشابه قاصر ومتواضع ، إذ أنه لا يوضح الاتحاد بين اللاهوت والبشر ، بين الأزلي والمحدود . كما أنه بكل تأكيد لا يوضح الاتحاد بين طبيعتين روحيتين في شخص واحد - أي طبيعة المسيح اللاهوتية ، والجانب غير المنظور من طبيعته البشرية . ففي الإنسان هذا الاتحاد مقصور على جسد مادي وروح . إنه اتحاد عجيب ، ولكنه لا يرقى لدرجة ما حدث للمسيح . ففي المسيح اتحد الجسد والروح مثلنا جميعاً - ولكن طبيعته البشرية الكاملة هذه اتحدت مع طبيعة إلهية أزلية، في شخص ابن الله المجيد .

**** فكر مرفوض :***

بينما نحن نناقش قضية طبيعتي المسيح ، لابد لنا أن نذكر أحد الآراء الواسعة الانتشار في هذا الصدد ، حتى بين أولئك الذين يحبون كلمة الله ، إلا انه في الواقع مخالف لما أعلنه الله ، انه الفكر اللوثري عن امتزاج خصائص إحدى طبيعتي المسيح بالأخرى .

هناك عدة صور لهذا الفكر ، وذلك تبعاً لمن يقدمه . ولكنه - في جوهره- يؤكد أن خصائص إحدى طبيعتي المسيح يجب أن تنسب لطبيعته الأخرى ، إذ أن هناك إنتقالا فعليا للخصائص من طبيعة للطبيعة الأخرى . ويمكن الإحساس أن الاعتقاد بهذا الرأي هو السبيل الأوحد لأن نجادل باقتناع عن وحدة شخص المسيح.

ولا ينكر هؤلاء الذين ينادون بهذا الرأي ما ذكرناه سابقا عن ، أن خصائص وصفات الطبيعتين يمكن أن تنسب إلى الشخص الواحد . وما حدث هو إضافة لتلك الحقيقة ، بدعوى الدفاع عن حقيقة أن المسيح شخص واحد وليس اثنين .

لقد علم لوثر وأتباعه الأولون ، أنه حدث اختلاط بين خصائص الطبيعتين في كلا الاتجاهين . إلا أن خلفاءهم أكدوا فقط على انتقال من الطبيعة الإلهية إلى البشرية . أما اللاهوتيون اللوثريون المعاصرون فانهم يفرقون بين خصائص الله الفعالة (مثل كلي القدرة ، واجب الوجود وكلي المعرفة) . وبين خصائصه الساكنة (مثل الأزلية واللامحدودية) . وهم يعلمون أن الخصائص الفعالة فقط ؛ هي التي انتقلت إلى طبيعة المسيح البشرية . لكن تتفق كل هذه المدارس اللاهوتية في أن أي انتقال حدث إنما تم في التجسد .

وبعد كل ما قيل يبرز هذا السؤال : كيف يمكن القول إن المسيح كان موجوداً في كل مكان أثناء تجسده ، كما جاء في الأناجيل ؟ لقد قدم اللوثريون إجابات متعددة لهذا التساؤل . فقال البعض أنه مارس الخصائص الفعالة لله ولكن سرًّا . وقال آخرون إنه فعل ذلك من حين لآخر بحسب مشيئته ؛ أو أنه تركها غير فعالة .

وقد جاءت الاعتراضات على هذه التعاليم من داخل الكنائس اللوثرية ذاتها. فمثلا ، قد أشير إلى أن العقيدة بجملتها تتعارض مع تعليم لوثر ، بأنه كان لربنا يسوع المسيح كيانٌ بشريٌّ صريحٌ وحقيقيٌّ . لماذا إذن ينادي هذا المصلح العظيم بهذا الرأي عن اختلاط خصائص المسيح ؟ هل لأن هذا الفكر كان ضرورياً ليدعم رأيه الشخصي وفهمه للعشاء الرباني ؟ لقد علم بأن لطبيعة المسيح البشرية وجودا في كل مكان ، وأن

جسده ودمه مختلطان بالخبز والخمر . فكيف له أن يثبت ذلك لو لم يؤمن بامتزاج خصائص طبيعتي المسيح ؟ هل يمكن القول بأن رأيه في العشاء قاده إلى فكر خاطيء حول شخص المسيح ؟

فمما لاشك فيه أن رأي لوثر عن امتزاج خصائص المسيح ليس من تعليم الكتاب المقدس . وإذا كان لنا أن نتجادل حول ما جاء في (يوحنا3 : 13) " ابن الإنسان الذي هو في السماء " إذ نرى هنا وجود المسيح في مكان وقد ارتبط بطبيعته البشرية ، إذن لابد أن نناقش ما جاء في (1كورنثوس2 : 8) ".. صلبوا رب المجد " وهنا نرى طبيعة المسيح الإلهية وقد تعرضت للألم والمعاناة . ولكن حتى اللوثريين أنفسهم ما كانوا ليقروا ذلك .

لا يمكننا أن نؤمن بالرأي اللوثري ، بينما نؤمن بما رأينا أنه حقٌّ غنيٌّ عن البيان ، أن طبيعتي المسيح ظلتا متميزتين تماماً . فكيف تنتقل خصائص إحدى الطبيعتين للأخرى ، بينما تظل الطبيعتان منفصلتين ؟ فإذا نزعت عن طبيعة ما خصائصها فلا تبقى بعد تلك الطبيعة . بالإضافة لذلك ، فان الوجود في كل مكان لا يتلائم مع الطبيعة البشرية . فببساطة شديدة ، لا يمكن لكائن بشري من جسد وروح أن يوجد في كل مكان كل الوقت . فكيف إذن ينسب شيء كهذا لجسد المسيح البشري ؟ ألم يقل الملائكة عن جسده المقام " ليس هو ههنا لكنه قام" (لوقا 24 : 6) ؟ أليس الرب الصاعد للسماء هو " الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء ؟ " (أعمال الرسل3 : 21) . ألا تعلم هذه الكلمات بوضوح أن طبيعة المسيح البشرية لا يمكن أن توجد في كل مكان كل الوقت ؟ هذا الذي لا يمكن أن يكون حقيقياً إلا إذا حدث امتزاج بين اللاهوت والناسوت ، وهذا ما لا يقر به أو يعلمه الكتاب المقدس .

التعليم اللوثري الحديث متناقض . كيف يمكن إنتقال خصائص الطبيعة الإلهية إلى البشرية دون أن تنتقل بعض خصائص الطبيعة البشرية إلى الإلهية؟ كيف يمكن لبعض الخصائص أن تنتقل وتترك خلفها باقي الخصائص؟ هل يوجد للخصائص وجود منفصل عن الطبيعة التي تحملها ؟ بالطبع لا . ألا يتبع ذلك أنه في حالة انتقال " بعض

" الخصائص ، فلابد أن تنتقل " كلها " ؟ ألا يتركنا هذا الاستنتاج عند ذات النقطة التي وقفنا عندها في الفقرة السابقة ؛ من حيث امتزاج الطبيعتين وعدم تميزهما عن بعضهما البعض ؟ وعندها يكون للمسيح طبيعة إلهية فقط ، وليس طبيعة بشرية حقيقية ؟

هل نرى في الأناجيل صورة إنسان كلي المعرفة وكلي الحضور ؟ فكيف إذن يقال عنه أنه في حالة إتضاع إن كانت صفاته الإلهية ممتزجة بطبيعته البشرية؟ وإذا كان قد حدث هذا ، فكيف نقول إنه يتمجد الآن ، ألم يكن كذلك قبلاً؟ ألا يصبح مستحيلاً التمييز بين حالة الاتضاع وحالة العظمة والمجد لله - الإنسان، إذا سلمنا برأي اللوثريين ؟

لابد أن نرفض الرأي اللوثري بكل صوره ، ويجدر بنا أن نرجع إلى حظيرة الرأي المستقيم التي من كلمة الله ؛ وهي تدافع عن العقيدة بأن " هناك طبيعتين في شخص يسوع ربنا - الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية ، ونحن نعلن أنهما متحدتان بحيث أنهما لم تختلطا أو تمتزجا ، بل بالأحرى اتحدتا أو انضمتا معاً في شخص واحد (مع بقاء خصائص كل منهما سليمة وساكنة) ، حتى أننا نعبد مسيحاً واحداً ، ربنا وليس اثنين . لذلك نحن لا نفتكر ولا نعلم أن لاهوت المسيح تعرض للألم والمعاناة ، أو أن المسيح - بحسب طبيعته البشرية - لازال موجوداً في العالم ، وكذلك في كل مكان . (الاعتراف السويسري البروتستانتي الثاني ، 1564، الفصل الحادي عشر) .

*** المخلص الذي نحتاجه :**

إن المسيح بهذه الصورة هو المخلص الذي نحتاجه تماماً . ولو لم تكن له تلك الصورة التي رأيناه فيها ، لكنا هلكنا وفنينا في خطايانا . فيا لسعادتنا أن يكون المخلص الذي اختاره الله هو الرب يسوع المسيح ، الذي وهو ابن الله الأزلي ، أصبح إنسانا ، هكذا كان - وسيظل - إلها وإنسانا في طبيعتين متميزتين في شخص واحد ، إلى الأبد (العقيدة الوستمنيسترية الموجزة ، 1647) .

يتضمن عمل المسيح كمخلص كلا من طبيعتيه ، ولو كان بغير إحدى هاتين الطبيعتين ، أو لو كان قد حدث امتزاج أو اختلاط بينهما ، ما كان لنا خلاص البتة .

فهو نبي كامل بسبب طبيعته الإلهية . لم يكن باستطاعة أي من الأنبياء إلا أن يعكس نوره ، أو أن يقدم ما تسلمه منه ، وكل معرفته جاءت من عنده. أما الرب يسوع المسيح فهو الله نفسه . وبتجسده أمكن للعيون البشرية أن ترى والآذان أن تسمع من أرسله الله ، الذي هو الله ذاته . لقد تسلمنا إعلاناً تاماً من الله ، يناسب تماماً بشريتنا . وما كان لنا مثل هذا النبي أو ذلك الإعلان لو لم يكن لهذا الشخص الواحد طبيعتان متميزتان .

كانت الطبيعة البشرية للمسيح حتمية له كي يتمم ناموس الله نيابة عنا ، ولكي يموت بدلاً عنا ، ويكون الكاهن الذي يمثلنا ويشفع فينا في السماء . في ذات الوقت ، فان المكانة الرفيعة لطبيعته الإلهية هي التي ضمنت كفاية طاعته لتبرير الخطاة ، وأن لموته المحدود قيمة غير محدودة لارضاء العدل الإلهي . لو لم يكن للمسيح طبيعتان متميزتان ، لما كان لنا هذا الكاهن الذي نحتاجه .

وعلى نفس المنوال ، تمتزج كل أعماله الخاصة بطبيعتيه - الإلهية والبشرية - معاً في تناغم جميل في كل ما يعمل من أجلنا كملك . انه آدم الأخير ، الإنسان الثاني ، رأس جنس مفدي وممجد ، البكر بين إخوة كثيرين ، الذي له السلطان فوق كل خلائقه . إن قلبه البشري ينبض حبا لنا جميعاً ، لكنه يعمل دائما بقوته وحكمته الإلهية ليجعل كل الأشياء تعمل معاً لتحقيق مقاصد محبته .

لهذا ، فان شخصه بما له من كل خصائص اللاهوت ، كذلك الناسوت الكامل الممجد الذي لا يماثله غيره ، كان مؤهلا تماماً لأن يكون مخلصنا الوافي . وكل ما عمله لا يعزي لأي من الطبيعتين ، بل إلى شخصه الكامل ذي الطبيعتين الله - الإنسان ، ويحق لهذا الشخص المجيد كل السجود والطاعة من الملائكة والناس .

الهرطقات : قديماً وحديثاً

لقد درسنا حتى الآن جميع النقاط الرئيسية اللازمة للحصول على فهم صحيح لشخص ربنا يسوع المسيح . فهو الله والإنسان في طبيعتين متميزتين، ولكن في شخص واحد وإلى الأبد . كما رأينا لمرات عديدة لماذا تعد هذه العقيدة مبدأ جوهريا في الإنجيل . فلا غرابة أن نكتشف أن التاريخ شهد محاولات متكررة لإنكار هذا الحق العظيم . فالشيطان يعلم جيدا أنه لو أمكنه التشكيك في هذا الحق ، فسوف يتمكن من القضاء على الإنجيل .

لذلك كان من الحكمة أن يتضمن هذا الكتاب حصراً موجزاً عن الأخطاء البارزة التي وقع فيها البعض ، كذلك إلقاء نظرة على الهجمات الحديثة لما يعلمه الكتاب المقدس بخصوص شخص المسيح . وذلك سوف يساعدنا على تجنب الوقوع في ذات الشراك ، وسوف يعمل على تهيئتنا لتدعيم هذا الحق في العالم الحديث . ويجدر بنا أن نذكر أن من يتناسى الماضي يحكم عليه بأن يكرره ثانية . ودراستنا للمفاهيم الخاطئة والهرطقات سوف يشحذ إيماننا ويجعلنا أكثر تدقيقاً في إعلاننا للحق الإلهي في هذه الأيام ؛ التي استعادت فيها الضلالات نشاطها ؛ وتضاعفت أعداد المذاهب المنحرفة . ومما لاشك فيه أن تقديم إعلانات الله بأسلوب غير دقيق سوف يقود الناس إلى الضلال ، وفصل كهذا الذي نحن بصدده كفيل بأن يقي من هذا الخطر .

يمكن تقسيم الضلالات بشأن شخص المسيح إلى ثلاث مجموعات أساسية. الأولى ، إنكار العنصر الإلهي في شخصه ، وادعاء أنه كان مجرد إنسان . والثانية إنكار حقيقة وكمال طبيعته البشرية . وأخيراً إنكار اتحاد الشخص المتضمن هاتين الطبيعتين . وسوف نلقي نظرة على الأمثلة الرئيسية لهذه الضلالات الثلاثة ، ثم نختم الفصل بملخص لما قاله بعض اللاهوتيين المحدثين بخصوص ربنا يسوع المسيح .

أولا : إنكار لاهوته :

ترسخ لاهوت ربنا بقوة بين المسيحيين الذين جاهروا بإيمانهم في القرون الثلاثة الأولى للكنيسة ، وكانوا يعبدونه في كل مكان باعتباره الله . وكان هذا الاعتقاد عاماً وراسخاً ؛ حتى أنه لم يكن هناك حاجة لأي توضيح غير الذي ورد بالكتاب المقدس . ولم تظهر توضيحات أخرى حتى بدأ هجوم شامل على لاهوته .

لابد أن نحترس من الافتراض القائل بأن توضيح لاهوت ربنا ، هو الذي خلق الإيمان به كإله ؛ فحين لم يواجه هذا الإيمان أية تحديات ، لم يكن هناك ضرورة لأية توضيحات أو تعريفات ، وهكذا ظل الحال في الثلاثة قرون الأولى من تاريخ الكنيسة .

وفي السنوات الأولى لم ينكر لاهوت المسيح سوى طائفة (Ebionites) وهم جماعة اليهود الغنوسيين المسيحيين ، الذين اعتبروه مجرد إنسان . وفي منتصف القرن الثاني ، كان لـ(Elkesaites) صوت مسموع في سوريا ؛ وهم أيضا جزء من هذه الطائفة . وحاد بعض آخر عن الفكر المستقيم في القرون الأولى أشهرهم اثنان علمانيان من روما ، أحدهما يدعى ثيودوتوس : آرتيمون (توفي عام 180)، والآخر بولس الذي من (ساموساتا) Samo Sata والذي كان اسقفاً لأنطاكية في الفترة من (260 - 270 وقد عزلا بواسطة المجمع عام 269) .

أقر معظم هؤلاء بأن للمسيح ميلاداً خارقاً للطبيعة ، ولكن مع ذلك أصروا أنه مجرد إنسان تميز بقوة إلهية خاصة . وكانوا يعلمون بأنه اختبر " تأليها نسبياً " في نهاية الأمر ، كمجازاة له لحياته الأرضية السامية وانجازاته.

في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ، ظهرت هرطقة كيرينثوس (Cerinthus) الشهير . هذا أصر على أن يسوع لم يكن سوى إنساناً ، ابناً لمريم ويوسف ، وأثناء معموديته جاء عليه ، المسيح أو " اللوجوس " في هيئة حمامة ، مما

رفعه إلى منزلة ابن الله ، واعطاه القدرة على عمل المعجزات . ولما صلب ، ترك " اللوجوس " الإنسان يسوع ليتألم وحده . ثم مات ولم يقم ثانية .

لم يتسبب كل هؤلاء الأفراد والجماعات سوى في بعض الموجات الخفيفة على السطح الهادئ . فلم يعكر أي منهم سلام الكنيسة أو نقاءها . لكن الأمر اختلف بظهور آريوس ، كاهن الأسكندرية ، في بداية القرن الرابع، الذي أحدث انفجاراً في الكنيسة . فقد هزت رياح تعاليمه السطح الهادئ بشدة وحولته إلى عاصفة حقيقية مدمرة . فقد زعم آريوس أن الله - شخص أبدي واحد ؛ وأنه خلق ابنه الوحيد مخلوقه الأسمى على صورته ، وأصر آريوس على أن الابن كان إلها بمعنى ثانوي أو هامشي . فلم يكن ابن الله أزليا - وبالطبع لم يكن منذ الأزل لله (لدى آريوس) نفس مفهوم الآب الذي لدينا - وقد خلق الكل بواسطة الابن ، الذي بعد زمن طويل أصبح إنساناً في شخص يسوع الناصري .

لمدة لا بأس بها من الزمان ؛ بدا وكأن هذه البدعة الآريوسية سوف تقهر الكنيسة في العالم كله . ولم يقف ضد آريوس سوى اثناسيوس بمفرده ؛ داعياً إلى الحق الذي في كلمة الله وإلى عقائد المؤمنين الأولين . ومن إحسانات الله أن الحق كانت له الكلمة العليا . فقد جرم مجمع (نيقية) في عام 325 البدعة الآريوسية وأكد أن الرب يسوع المسيح هو " إله من إله " مولود غير مخلوق ومساو للآب في الجوهر . ولو أن الآريوسية انتصرت لقضى على المسيحية الكتابية .

بعد المعارضة الآريوسية ، ولعدة قرون تالية ، لم ينكر أحد لاهوت المسيح علانية من داخل الكنيسة ، ومع ذلك لم تمت الآريوسية نهائياً ، وظهرت من آن لآخر عبر التاريخ . فأولئك الذين يسمون أنفسهم " شهود يهوه" عبارة عن صورة حديثة من الآريوسية ، إذ يتمسكون تماماً بما قاله آريوس بخصوص شخص المسيح . ومعظم المذاهب المنحرفة الحديثة الأخرى تنكر لاهوت المخلص علانية . ولابد أن نحترص كل الحرص من تعاليمهم ، متذكرين كيف تتسلل الضلالات إلى مركز الحياة في الكنائس . ولم يكن لآريوس أن يحدث كل هذا التأثير ، لو لم يمهد " أوريجين " (185 - 255) السبيل - عن غير قصد - حين علم أن الابن مع أنه ممجد وقدوس ، إلا أنه ليس في منزلة

الله الآب . وبذلك غرس فكرة وجود درجات في اللاهوت ، مما سهل لآريوس المضي قدماً . ولم يكن لفكر أوريجين - الذي عرف مؤخراً بشبيه الآريوسية - أن ينطلق ما لم يشكك ترتليان (من حوالي عام 160 - 240) في مساواة ابن الله بالآب . وهكذا نرى أن خطأه الهين - نسبياً - مهد الطريق إلى ضلالات خطيرة في السنوات التالية ، مما يوضح لنا الأهمية القصوى للتدقيق في تعبيرات عقائدنا .

حتى المعروفين باسم (Ebiontes) لم ينتهوا تماماً . فقد تبنى فكرهم القائل بأن يسوع لا يعدو كونه إنسانا، جماعة تسمى السوسينيين(Socinians)، الذين انتشروا في أوربا في القرن السادس عشر ، وكذلك أيضا جماعة (الموحدين) الذين مازالوا موجودين حتى يومنا هذا . في القرن التاسع عشر ، حين هوجم الإنجيل ، وأنكرت المعجزات ، وجد هذا الفكر طريقه إلى معظم المذاهب المسيحية الرئيسية . كما يوجد عدد ضخم من المتحررين أو العصريين " الليبراليين " أو "modernist" الذين يؤمنون بهذا الفكر ، وقد أصبح لبعضهم صوت مسموع في الآونة الأخيرة . وهذا صحيح بصفة خاصة بالنسبة لهؤلاء المعروفين بالحركة المسكونية ، وما يعبرون عنه في هيئاتها المختلفة .

ثانياً : إنكار ناسوته :

في الواقع كانت كل الطوائف التي أنكرت حقيقة الطبيعة البشرية للمسيح في الكنيسة الأولى من أصل غنوسي (Gnostic) . فقد ظهر هؤلاء الغنوسيون منذ العصور الأولى ، وانتشروا في العالم المعروف وقتئذ مع بداية القرن الثاني . وهؤلاء اعتبروا أن الله إنما هو روح واحد وشخص واحد ، ومنه انبثقت كائنات أقل لاهوتية منه ، وعن طريقها استمد اتصاله بالعالم . وأطلق على هذه الكائنات اسم (Aeons) ، وكان المسيح أعظم هذه الكائنات - كانت هذه الكائنات ضرورية، لأن المادة - الكائنة بذاتها - شريرة في جوهرها ، لذلك لا يمكن لله أن يكون على اتصال مباشر بها .

نما التعليم الغنوسي جداً بين الـ (Docetoe) ، الذين ازعجوا الكنيسة في القرن الرابع . ولإيمانهم بفساد المادة بجملتها ، أعلنوا أن طبيعة المسيح البشرية - الجسد والروح - ما هي إلا مجرد طيف أو خيال . لقد بدا وكأنه إنسان، ولكنه لم يكن كذلك . فلم

يكن لبشريته وجود مادي . لم يكن أكثر من ظهور أو خيال من خلاله أظهر اللوجوس ذاته للجنس البشري . إنه لم يولد ولم يمت . لقد ساد هذا الاعتقاد وازداد انتشاره ، وشكل تهديداً خطيراً على المسيحية لفترة طويلة من الزمن ، كما فعلت الآريوسية ، وإن كان من زاوية مختلفة تماما . ولكن قضى عليه في النهاية ، وان كان قد استمر يعلم حتى العصور الوسطى بواسطة بعض الاشخاص مثل بيتر اللومباردي (1100 - 1164) .

جاء هجوم على كمال طبيعة المسيح البشرية في القرن الرابع من شخص يدعى (أبو ليناريس) الذي كان أسقفاً للاوديكية (حوالي عام 370) . ومع أنه بدا أرثوذوكسيا في كل النقاط الأخرى وكان معتبراً في تعاليمه ، إلا أنه استمد فكره عن التجسد من أفلاطون أكثر منه من الكتاب المقدس . لقد علم أن الإنسان يتكون من جسد (soma) ، ونفس(psyche) ، وروح إنسانية (pneuma) ، كلها مشتملة في شخص واحد . وعن المسيح قال : " مع أنه كان له جسم بشري حقيقي ونفس، إلا أن اللوجوس الإلهي أو الكلمة حل محل الروح الإنسانية (pneuma) . لقد قبل أبوليناريس لاهوت المسيح تماماً ، لكنه جزم بأن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية العاقلة . وحاول أن يبرهن على أن هذه الروح الإنسانية هي مركز الخطية ، وبالتالي لا يمكن لابن الإنسان المنزه عن الخطية أن يمتلك مثل هذه الروح .

بهذه الطريقة أنكر أبوليناريس أن للمسيح طبيعة بشرية كاملة . لكن لو لم يأخذ المسيح طبيعتنا ، كيف كان له أن يفدينا ؟ إن افتراضات أبوليناريس تجاوزت بالتأكيد صعوبة افتراض ملازمة روحين مدركتين (كل منهما حرة الإرادة) في شخص واحد ، لكنها أفسدت الحق الواضح الذي سبق ودرسناه ، أن المسيح إنسان كامل وإله كامل في وقت واحد . وأنكرت افتراضاته أيضا أن لنا مخلصاً " مجرب في كل شيء مثلنا ... " (عبرانيين 4 : 15) . أدينت الأبوليناريه - بحق - بواسطة مجمع القسطنطينية في عام 381 .

ومما يؤسف له ، أن الادانة بواسطة مجمع لا تعني زوال البدعة . صحيح أنه لم يعد هناك سوى قلائل الذين ينكرون طبيعة المسيح البشرية الحقيقية منذ مجمع قسطنطينية .

ولا وجود لهذه البدعة ، ولكن ليس تماماً . فلازالت هيئة Christian Science تتمسك بها . فقد كتبت ماري بيكر إدى في كتاباتها المتنوعة أن : المسيح غير مادي ، بل هو روحي ، وحركتها تنكر حقيقة جسد المسيح وكمال بشريته . لابد أن نذكر أنفسنا بأن فكراً مثله تماماً دحضه الرسول يوحنا حين كتب يقول " وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح ، الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم " (1يوحنا4 : 3) .

**** المنكرون لشخصه الواحد أو لطبيعتيه :***

لقد شاهد تاريخ الكنيسة من آن لآخر البعض الذين كانوا قاطعين في التنبير على أن طبيعتي ربنا كانتا متميزتين ولم يحدث أي تغيير أو تعديل فيهما ، حتى أنهم ألقوا بحقيقة وحدة شخصه إلى غياهب الظلام . ومن الصعب أن نطلق على هذا الاختلال في التوازن لفظ بدعة ، إذ ليس هناك إنكار محدد لأي حق كتابي . لكنه بالتأكيد خطأ بالغ الخطورة .

لقد أصبحت هذه النزعة بارزة في اللاهوت المنبثق من أنطاكية في القرنين الرابع والخامس ، واضحة نتيجة لكتابات ثيودور الموبسيوستي . ووصلت الأمور لذروتها عندما أصبح نسطوريوس - راهب انطاكية - بطريركا على قطسنطينية . ففي سعي نسطوريوس للدفاع عن ناسوت ربنا يسوع المسيح ، أظهر استهجانه لعبارة " والدة الإله " التي أطلقت على العذراء مريم ، مؤكداً أنها ولدت المسيح وليس الله . وقد استطاع أن يضع هذا التمييز لأنه كان يعتقد أن طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية يجب أن تكونا متميزتين ومنفصلتين . كانت شخصية ربنا مزدوجة وكانت طبيعتاه متميزتين ؛ حتى أن نسطوريوس في النهاية اعتبره شخصين ، أحدهما إلهيا والثاني بشريا ، وليس شخصا واحدا ذا طبيعتين ، واعتقد أن لاهوته سكن في ناسوته (جسده) ، لكن لم يتحد الاثنان بأية حال . لكن كيرلس الذي من الاسكندرية الذي عارض نسطوريوس ، تمسك بالعقيدة المستقيمة ، القائلة بالاتحاد التام للطبيعتين المتميزتين في المسيح ، وقد أدان مجمع أفسس نسطوريوس في عام 431 ، وبالتالي أدينت مدرسة أنطاكية كلها ، التي كان يمثلها نسطوريوس .

سمع ، فيما بعد ، رأي آخر في مدينة قسطنطينية مضاد تماماً لما سبق . قاد أوطاخي (Eutyches) - الذي كان رئيساً لأحد الأديرة - معارضة شديدة لآراء نسطوريوس ، بعد أن وجد أن آثارها لم تختف بعد . وبمعارضته تلك ، وقع في خطأ الخلط بين طبيعتي المسيح . فقد تمسك بأن للمسيح طبيعة واحدة، إما بامتزاج الطبيعتين معاً ، أو بابتلاع الطبيعة الإلهية للطبيعة البشرية . وقد كان مخطئاً في اعتقاده بأن كيرلس كان حليفاً له ، وقد أنكر بصفة خاصة وجود طبيعتين للمسيح . وقد أدين هو وجماعته - الذين أطلق عليهم مجمع خلقيدونية عام 451 ، مذهب القائلين بأن للمسيح طبيعة واحدة (mono physites) .

ورغم إقصائهم عن الكنيسة الأرثوذكسية ، إلا أن أنصار مذهب الطبيعة الواحدة ؛ استمروا لفترة من الزمن بعد ذلك . وفي محاولة منه ليوحدهم مع الاتجاه العام للمسيحية ، اقترح الامبراطور هرقل حلاً وسطاً : فلزاماً عليهم أن يتبنوا إقرار خلقيدونية ، مع بعض التنقيح الذي يتلخص في أنه نتيجة للاتحاد الأقنومي ، فانه في المسيح توجد قوة واحدة إلهية بشرية وإرادة واحدة.

وقد أطلق على من تمسكوا بهذا الفكر اسم (monothelites) . وفي عام 681 فإن المجمع المسكوني السادس للقسطنطينية وبالتعاون مع أسقف روما عارضهم ، وتبنى العقيدة المستقيمة القائلة بأنه كان في المسيح قوتان وإرادتان، ولكنهم أوضحوا أنه لابد من اعتبار الطبيعة البشرية خاضعة للطبيعة الإلهية .. وبهذا القرار ، أغلق ملف المعتقدات التي تؤمن بها كل الكنيسة المسيحية بخصوص شخص ربنا يسوع المسيح .

ولكن حتى هذا لم يمنع ظهور هرطقة أخرى أكثر خطورة . تلك كانت بدعة فيلكس ، أسقف (أدرجيللا) ، والتي تعرف الآن باسم (adoptionism) . ومثل كل الهرطقات الأخرى ، ظهرت هذه الأخيرة لعدم قبول إعلانات الكتاب المقدس البسيطة ، وكحل للمشكلات التي ظهرت في الإعلانات الكتابية ولكن باستخدام عقول بشرية . لقد سعى فيلكس للحفاظ على وحدة شخص المسيح بافتراض أنه مع كونه ابن الله بسبب طبيعته

الإلهية ، لكنه باعتبار طبيعته البشرية كان بالتبني فقط ابن الله . ولم تبدأ هذه البنوة بالتبني عند الميلاد الطبيعي للمسيح ، ولكن عند معموديته ، وبلغت حد الكمال عند قيامته . لقد كان ميلاداً روحياً ذلك الذي جعل يسوع الإنسان ابن الله بالتبني . وقد كانت الكنيسة سريعة في اكتشاف خطأ هذا الرأي تبعاً لما جاء في العهد الجديد . فلم يحافظ هذا التعليم الجديد على وحدة شخص المسيح كما إدعى ، بل على العكس ، عرض هذا الحق للخطر . وقد أدين بصفة حاسمة من قبل سنودس فرانكفورت عام 794 .

**** القرن التاسع عشر :***

لم تقدم العصور الوسطى أية تعريفات أخرى لعقيدة شخص المسيح . وإن حاد بعض الأشخاص أو الجماعات من حين لآخر عن الرأي المستقيم ، ولكن التعريفات الموجودة كانت كفيلة بفضح أخطائهم . وكانت هذه الانحرافات إما إحياءً أو تحويرا في الهرطقات التي سبق مناقشتها .

ولم تتغير الأمور في عصر الإصلاح . فمع أن الأقطاب تنافرت في العديد من النقاط ، إلا أن كلاً من كنيسة روما وكنائس الإصلاح أقروا بالعقيدة الخاصة بشخص المسيح التي صيغت في خلقيدونية . ولم يبرز في تلك الحقبة سوى الفكر اللوثري الذي ناقشناه في الفصل الثامن .

في بداية القرن التاسع عشر حدث تحول كبير في دراسة شخص المسيح. فقد شهد القرن الماضي اهتماماً متزايداً بدراسة " يسوع الذي ظهر التاريخ " لقد ميزوا بين " يسوع التاريخي " الذي عاش بالفعل كما أوضحته الأناجيل ، وبين " مسيح علم اللاهوت" الذي أوضحته إقرارات الإيمان الكنسية . فقد تضاءل شيئا فشيئا تفكير العلماء عن مسيح خارق للطبيعة، وبدأوا في الحديث عن يسوع بشري. لقد تخلوا عن عقيدة الطبيعتين وكتبوا عن إنسان إلهي . وبرز إسما " شليرماخر وهيجل " Schliermacher & Hegel " في هذا التطور الجديد . فلم يكن المسيح بالنسبة لها أكثر من معلم بشري ، مع كونه متفرداً ، إما بسبب إحساسه الكامل بالاتحاد مع اللاهوت ، أو بسبب ملامح الوحدانية التي توجد بين الله والإنسان . وقد بينت لنا الفصول الستة الأولى من هذا الكتاب

مسيحا يختلف جوهرياً عن هذه التخمينات البشرية . فالمسيح الذي كتب عنه الوحي الإلهي في الإنجيل هو نفسه المسيح اللاهوتي الذي ذكر في إقرارات الإيمان. وما كان من الكنيسة إلا أنها جمعت كل خيوط المعلومات الكتابية وصاغتها في تعريف لما تظهره كلمة الله في مجملها .

وظهرت أيضا خلال القرن التاسع عشر النظرية التي عرفت باسم (kenosis) أو نظرية التخلي . وكانت محاولة جديدة تماماً لإعادة صياغة عقيدة شخص المسيح . وقد أشتق الاسم مما جاء في رسالة فيلبي 2 : 7 التي تعلم أن المسيح " أخلى نفسه ، آخذا صورة عبد " . وقد فسر أصحاب هذه النظرية تلك الكلمات على أنها تعني أن " الكلمة " أو " اللوجوس " تغير حرفيا إلى إنسان . لقد نحى جانباً قوته الكلية ، وعلمه بكل شيء ، ووجوده في كل مكان ، حتى إدراكه بلاهوته نحاه جانباً ، ثم ازداد حكمة وقوة خلال حياته البشرية ، حتى عاد في النهاية إلى أن يصبح الله . لقد ظهرت نظرية التخلي هذه (kenosis) في صور متباينة ، ولاقت قبولاً وشعبية كبيرة ، أولاً في ألمانيا ثم في انجلترا . ولازالت حية في بعض الدوائر حتى يومنا هذا . وهي ترمي إلى الحفاظ على حقيقة ناسوت المسيح ؛ والتأكيد على عظيم إتضاعه لكونه أصبح فقيراً من أجلنا .

على أية حال ، هذه النظرية بها عيوب خطيرة ، ولا يمكن أن تقبل من هؤلاء الذين يخضعون لسلطان الكتاب المقدس . فالكلمة " أخلى نفسه " في فيلبي 2 : 7 ، أستخدمت أربع مرات في العهد الجديد في (رومية 4 : 14 ، 1كورنثوس1 : 17 ، و 9 : 15 ، 2كورنثوس 9 : 3) بمعنى تعطل ، لكن لم تعني أبداً " إخلاء " . وصحيح اللغة يقودنا إلى ترجمة العدد الذي نحن بصدده تماماً كما جاء في ترجمة (King James) الإنجليزية " جرد نفسه من كل صيت حسن ، آخذا صورة عبد " . وقد جاءت هذه الكلمات مماثلة تقريباً في الترجمة الأخرى المعروفة باسم (Authoized Version) . تعلمنا كلمات هذا العدد أن المسيح لم يصر على امتيازه اللاهوتي ، لكن جعل من نفسه شخصاً لا يعتد به ، وأخذ صورة عبد . لم يُنح جانباً وجوده في صورة الله (عدد6)، ولكنه نحى مكانته المساوية لله ، وهذا ما يؤكده هذا العدد فهو لم يكف عن أن يكون ما كان عليه دائماً ؛ لكنه استبدل منزلته بأخرى . وبدلاً من أن يمارس حقه في السيطرة ، إرتضى بأن

يضع نفسه في حالة خضوع حيث دعى للطاعة . ومما لاشك فيه أن هذا الخضوع المادي أدى بربنا أن يقيم علاقات جديدة مع الآب والروح القدس ، لكنه لم يغير بأية حال من لاهوته الجوهري .

تأسست حركة " التخلي " على مذهب وحدة وجود الله ، الذي لا يعتبر أن هناك اختلافا مطلقا بين الله والإنسان ، وأن هناك إمكانية لتحول أحدهما إلي الآخر . وانمحى الحد الكتابي الفاصل بين الاثنين . وفيه أيضا تعارض واضح في الحق البين المعلن أن الله لا يمكن أن يتغير (ملاخي 3 : 6، يعقوب 1 : 17) . ليس ذلك فقط ، لكنه يهدم عقيدة الثالوث . فالابن المتجسد ، الذي أخلى ذاته من الخصائص الإلهية ، لا يمكن أن يحتفظ بكيانه اللاهوتي في حياة الثالوث . وتقع هذه الحركة في نفس خطأ اللوثريين ، الذي سبق مناقشته ، حيث يظن الطرفان أنه يمكن انتزاع الصفات والخصائص الإلهية ، مع الابقاء على الكيان اللاهوتي بلا أدني تأثير . وهم بذلك يغفلون تعليم الكتاب المقدس بأنه كانت لربنا الخصائص الإلهية خلال الفترة التي سجلت في الأناجيل . ألم نر أنه كان الله حقا وبالتمام ؟ بالاضافة إلى ذلك ، لم تحقق هذه النظرية الغرض التي صيغت من أجله . فكيف يتأكد ناسوت المسيح عن طريق الاعتقاد بأن " لوجوسا " مصغراً أخذ مكان النفس البشرية ؟ فالمسيح لدى جماعة (التخلي) لا هو الله ولا هو إنسان ، ولكن ، وكما قال ب.ب وارفيلد " مجرد لاهوت متقلص " ، بعيدا كل البعد عن الله - الإنسان المجيد الماثل أمامنا في الكتاب المقدس .

ظهرت نظرية أخرى في القرن التاسع عشر ، تتعارض مع كلمة الله ، وهي نظرية " التجسد التدريجي " (gradual incarnation) ، والتي أرادت أن تتفادى أخطاء نظرية " التخلي " (Kenosis) ، لكن لتعطي لتجسد المسيح حقه ومنزلته . وتبعاً لهذه النظرية ، فعملية التجسد لم تتم عند الحبل بيسوع ، بل كانت تدريجية حيث اتحد " اللوجوس " اتحاداً مطرداً - بالإنسان المتفرد والممثل للجنس البشرى ، يسوع المسيح - وبلغ هذا الاتحاد كماله عند القيامة، وكانت نتيجته الله - الإنسان ذا الإرادة الواحدة والشخصية الواحدة ، والتي كان مركزها يسوع الإنسان ، ولكن اللوجوس أعطى لهذه الشخصية خصائص إلهية . لكن لا شيء من هذا يلقي تأييداً في العهد الجديد . ففكرة

الشخصيتين اللتين تصبحان شخصية واحدة ما هي إلا إحياء للصورة المضللة التي تبناها نسطوريوس . وقد ظهرت فكرة أن يسوع الإنسان هو الشخصية الحقيقية ، ويشكل ذاته الحقيقية ، في آراء أخرى متعددة عن المسيح في القرن التاسع عشر .

وقد رأي مؤيدو هذه الآراء المسيح كإنسان أصبح إلهاً من بعض الوجوه، أو على الأقل ، لديه إدراك باللاهوت . وأن رأى العهد الجديد لايمكن أن يكون أكثر اختلافاً ، فكيان اللوجوس كان موجوداً قبل الأزل . إنه كان ابن الله الأزلي الذي أصبح إنساناً .

لكن بلا شك أن اسم البرخت ريتشل (1822 - 1889)(Albrecht Ritschl) هو الأكثر تأثيراً في الفكر الحديث فيما يخص شخص المسيح . يقول البرخت : إن المسيح كان مجرد إنسان ، ولكننا - في ضوء ما عمله - نكون محقين أن ندعوه الله ، لأن هذه هي قيمته بالنسبة لنا . فيمكننا استبعاد وجوده الأزلي ، وتجسده وميلاده العذراوي ، فهذه لا شأن لها بالإيمان الشخصي ومع ذلك فتعاليمه ومثاله وتأثيره الفريد ، كلها أشياء تدفعنا للانضمام إلى المجتمع المسيحي ، فنعيش حياة باعثها الكلي هو المحبة . تختلف هذه الآراء اختلافاً طفيفاً عن تلك التي للمدعو (Paul of Samosata) . ولكن بتأثير ريتشل فقد تسللت هذه الآراء إلى كل أركان العالم المسيحي .

هذه كانت عينة الأفكار التي أثرت في عقول الناس حتى بداية القرن العشرين . وما كان يمكن لأحدها أن يلقي قبولاً لو أن المسيحيين ظلوا خاضعين للكتاب المقدس ، واستمروا في إيمانهم بأن ما يخص شخص المسيح؛ لابد وأن يقرر عن طريق الوحي الإلهي وليس بالحجج البشرية . بمعنى آخر ، كان القرن التاسع عشر هو عصر الهجوم على الإنجيل ، وإعلاء شأن الفلسفة البشرية . وسار التخلي عن الإنجيل ، جنباً إلى جنب مع الانحراف عن إقرارات الإيمان التاريخية .

فالاثنان إما يقفان معاً أو يسقطان معاً ، لأن الأخير (إقرارات الإيمان) هو تفسير للأول (الإنجيل) . وكل هؤلاء الذين ظنوا أنه بامكانهم عدم الإيمان بالإنجيل ورفض إقرارات الإيمان الكنسية ، وفي نفس الوقت الإبقاء على مسيحهم ، كانوا مخطئين بكل

أسف . لم تزد محبتهم نحو المسيح ، بل بالحري بردت . وكان من نتيجة أفعالهم أن عدداً لا يحصى من الرجال والنساء أداروا ظهورهم للمسيح . فقد دخل الارتداد للكنائس في عصر لم يسبق له مثيل في عدم الإيمان . وليس لدى هذا العالم الساخر إلا الازدراء بأولئك الذين يبدون وكأنهم يقبلون مخلصهم ، بينما هم في الحقيقة يسعون لتسليمه لأعدائه ، حتى يرتقوا هم .

**** علم اللاهوت اليوم :***

بمجرد أن تخصب تربة العقل البشري الساقط بالإنكار السافر لكلمة الله، فلا يمكن التنبؤ بالنظريات التي يمكن أن تنمو داخله . وفي عالم اليوم ، لا يزال الحق الخاص بشخص المسيح ينمو في أذهان الكثيرين ويحب في قلوب الكثيرين ، وهذا بفضل نعمة الله فقط . فهذا الحق مثل نبات رهيف محاط بغابة من النظريات والتفسيرات البشرية ، التي تبدو وكأنها سوف تخنقه وتلاشيه من الوجود . ليت الله يستخدم هذا الكتاب في إحياء هذا النبات الرهيف ! وليته يحث الأقوياء والأكفاء على وضع الفأس لتجتث الزوان المعتدي خلسة والمتجاوز الحد !

بدأ اللاهوت المعاصر ، والمتميز عن لاهوت القرن التاسع عشر ، في عام 1919 ، بنشر تفسير للرسالة إلى أهل رومية لكارل بارت (1886 - 1968) . ومما لا شك فيه أن بارت هو أكثر اللاهوتيين تأثيراً في العصور الحديثة ، وقد أثرت آراؤه في الكنيسة في جميع القارات . ونتيجة لهذا ، فقد أصبح اللاهوت المعاصر عالمياً . والآراء الحديثة لم تعد مخبأة في أحد الأركان . فأينما وجدنا ، سوف نواجهها بكل تأكيد .

هناك الكثير في لاهوت بارت مما هو صحيح وهام ، ولكن فكره عن شخص المسيح لابد وأن نتحذر منه . فبالنسبة لبارت لم يكن من الأهمية بمكان إذا كانت الحقائق التاريخية المختصة بيسوع في الأناجيل يجب أن يعول عليها أم لا. فبالنسبة له ، لا يعتمد الإيمان على حقائق تاريخية ، بل على مقابلة شخصية مع المسيح . فمثلاً الحقائق المسجلة عن قيامته لا قيمة لها بالنسبة للمؤمن . فما يهم هو مقابلتنا له شخصياً . وبهذه التصريحات فان بارت يقطع جذور المسيحية من التاريخ ، وبالتالي يدمر أساسها .

وبالنسبة له ، فان حقيقة تاريخية عمل المسيح الفدائي كأساس لبشارة إنجيل المسيح يجب إعادة النظر فيها .

ومع ذلك فقد سلم بارت بأن يسوع المسيح هو الله ، إلا أنه لم يحبذ الاعتراف بتواضع الإنسان يسوع . فقد رفض قبول حقيقة أن المسيح اجتاز حالة من الذل ، تلتها - حسب الترتيب الزمني - حالة المجد والرفعة . وتساءل " ماذا يعني أن نقول عن إنسان أنه أهين أو أذل؟ " . " إن هذا طبيعي بالنسبة لإنسان " . " وماذا يعني أن تقول عن الله أنه تعظم وارتفع ؟ " . " هذا طبيعي جداً بالنسبة لله " . ليس المجال هنا لتتبع المزيد من تعاليم بارت ، فقد قلنا ما فيه الكفاية لنبين أن التعريفات التاريخية بخصوص شخص المسيح لا قيمة لها عنده . واضح أن علم اللاهوت الحديث بدأ برفض ما صدر عن مجمع خلقيدونية وإنكاره .

وفيما عدا الاختلافات الحادة بخصوص الوحي بوجه عام وحقيقة الميلاد العذراوي ، جاء لاهوت إميل برنر (1889 - 1966) (Emil Brunner) مماثلا للاهوت بارت . ثم رودلف بلتمان (1884 - 1976) (Rudolf - Bultman) الذي كان أكثر تطرفاً من بارت ، ولكنه ذو تأثير مماثل له . ومثل سابقيه بارت وبرنر ، لم ير بلتمان الكتاب المقدس أنه كلمة الله الموحي بها بأي معنى موضوعي . وكان جدله الرئيسي يدور حول أن الأناجيل ، لم تعطنا فكرة حقيقية وموثوق بها عن يسوع . فكتَّاب الأناجيل أوضحوا ما رأته الكنيسة الأولى في شخصه . لذا يجب علينا أن نكشف إطار القصة الذي وصفه هؤلاء المسيحيون الأوائل ، لكي نصل إلى ما ورائها ، ونرى كيف كان المسيح الحقيقي . لقد أعتقد بلتمان أن الحقيقة المحضة حول المسيح تقع أساساً في الفقرات التي تسجل تعاليمه، وليست تلك التي تسجل أعماله . لم يشك في أن المسيح عاش في يوم من الأيام ، ولكنه يشك في إمكانية معرفتنا أكثر من ذلك . فقد صيغت المقتطفات الأصلية لتعاليمه ، بواسطة الكنيسة الأولى، في روايات متسلسلة ومترابطة عن طريق تفاصيل تاريخية مختلفة ومتتابعة في الزمان والمكان .. الخ . ولابد لنا أن نسقط كل هذه ونعير كل اهتمامنا للمعلومات القليلة التي تبقى لنا بعد تنحية هذه التفاصيل جانباً . وهكذا تجاهل بلتمان حقيقة أن العهد الجديد بكامله كتب بواسطة رسل المسيح ، أو تحت إشرافهم . لم

يترك لنا بلتمان أية معلومات ذات قيمة نستطيع بها أن نصيغ عقيدة عن شخص المسيح . لقد رأى في شخص مسيح العهد الجديد المجيد الأزلي ، أسطورة ابتدعها المؤمنون الأوائل ، لأغراضهم التبشيرية ، لكنها لا تصلح لرجال ونساء اليوم . ويقول أنه لابد لنا أن نحفر فيما وراء الأفكار والزخرفة التي للكنيسة الأولى ، ونستحضر المسيح الذي نجده عندئذ في صورة ذات معنى وتناسب أناس القرن الحادي والعشرين .

لقد دمر بلتمان أساس المسيحية في التاريخ ، تماماً كما فعل بارت . لقد تجاهل حقيقة أن رسالة الكنيسة الأولى في البشارة تمركزت حول شخص وعمل مسيح تاريخي ، كما لاشى تأثيره تماماً . لقد رفض القوة الخارقة التي كانت للمسيحية التاريخية ونادى بعقيدة من صنعه ، بالرغم من بعض التداخل في المصطلحات .

تحتاج هذه النقطة إلى تنبير خاص . فعلم اللاهوت الحديث ليس انحرافاً عن المسيحية التاريخية أو حتى تحولاً عنها ، فنحن لا نكاد نرى نقطة بداية مشتركة للاثنين ، إذ يختلف الاثنان اختلافاً بيناً . واللاهوت الحديث يستخدم العديد من المصطلحات التي استخدمت عبر تاريخ الإيمان المسيحي ، لكن علم اللاهوت الحديث ، ينفث فيها ، معاني مختلفة تماماً . فهم يدعون أنهم يتكلمون عن الرب يسوع المسيح ، ولكنه مسيح آخر غير الذي أتى ذكره في الكتاب المقدس ، اللهم إلا استعمالهم للحروف نفسها المكونة للاسم . كما أن المصطلحات الخاصة بالعقائد وإقرارات الإيمان التاريخية لا تعني الكثير بالنسبة لعلماء اللاهوت الحديث ، بل ويعتبرونها غير مقبولة ولا يعتد بها ، وكأنها إعلانات من عالم آخر . والعكس أيضا صحيح ، فالدارسون للفكر الكتابي عن المسيح ويعترفون بقرارات خلقيدونية ، يجدون في علم اللاهوت الحديث ما يستحيل فهمه ، فهو بعيد عن المنطق ، ولا يمس وتراً واحداً في القلب ، إذ يتكلم لغة أخرى غير معروفة أو مفهومة .

ومثال صارخ لهذا اللاهوت الحديث هو بول تيلتيش (1886 - 1965) (Paul Tillich) . فالديانة بالنسبة له لا تعني معتقدات مؤكدة أو ممارسات، لكنها النقطة التي تهم الفرد في النهاية . لذا فقد رفض كل الصيغ التقليدية الخاصة بشخص وعمل المسيح . واعتبر أن الإعلان الذي يقول أن " الله ظهر في الجسد " ليس غير مألوف فقط ، ولكنه

غير معقول أيضاً ، وما كانت القصص التي في الأناجيل بالنسبة له إلا أساطير خرافية ، ولا أهمية لقيامة المسيح . وما يهم في الأمر ليس إن كان المسيح قد قام من الأموات أو لم يقم، ولكن استعادة كرامته في أذهان تلاميذه . وبالنسبة لتيلتيش ، فلم يكن المسيح شيئاً في حد ذاته ، ولكنه كان مهما من حيث كونه الرمز الذي فيه هزم انفصالنا عن أساس وجودنا .

يستطيع المؤمنون البسطاء فهم وإدراك ما يقوله الكتاب المقدس عن المسيح ، ويمكنهم أن يميزوا قيمة إقرارات الإيمان القديمة ، ولكنهم لا يستطيعون فهم هذه الآراء والأفكار الحديثة . وكما أن كتابات أوسكار كولمان (1902) (Oscar Cullman) ، أكثر قبولا وفهما بالنسبة لهم ، ذلك لأنه كثيرا ما استشهد في كتاباته بالكتاب المقدس ورجع إليه في دراساته . ومع أن أبحاثه أعطتنا إدراكاً قيماً لكريستولوجيا (علم دراسة شخص المسيح وعمله) العهد الجديد ، إلا أنه يرفض أن يعطينا تأكيداً بأنه يمكننا أن نجد فيه وصفاً موثوقاً به تماماً ومقبولاً لحياة وتعاليم يسوع ، كما يقر على أن العهد الجديد لا يحمل بين طياته اهتماما حقيقيا بتوضيح من هو المسيح ، وماهية شخصيته ، وهكذا يفهم ضمناً أنه ينكر لاهوت المسيح .

ومما لاشك فيه أن كولمان لا يعنيه أن يبرز المسيح كمشارك في حياة الثالوث الإلهي . خلاصة القول ، يتضح مما سبق أن المسيح الذي يتكلم عنه كولمان ليس هو المسيح المذكور في الكتاب المقدس ، الذي نحبه ونعبده .

ترى كم من مسحاء قدموا إلينا في أيامنا هذه ؟ ! (ديترتش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer) (1906 - 1945) مثلا ، أطرى على ما اسماه " الإنسان الذي عاش للآخرين " (The man for others) ، بينما جون روبنسون John Robinson(1919 - 1984) في كتابه الأكثر مبيعاً بعنوان " الأمين لله" Honest to God يخبرنا عن شخص بمثابة النافذة الفعالة إلى الله .

وأخبرنا الفريد نورث وايتهيد Alfred North Whitehead (1861 - 1947) وحلفاء " اللاهوت العملي " process theology عن شخص هو الإنسان الوحيد الذي عمل الله فيه ، ولكنهم أنكروا صراحة فكرة أنه الله المتجسد . أما بيير تيلارد دي شاردين Pierre Teilhard de Chardin فقد ابتدع مسيحاً ، هو الأساس الداخلي وتحقيق عملية النشوء والتطور . ثم يأتي جيرجن مولتمان Jurgen Moltman المولود في سنة (1926)، بمسيح عبارة عن شخص نذكره من آن لآخر ، وينكر قيامته الجسدية ، ولا يقوم عليه تعليمه الذي يعرف باسم " لاهوت الرجاء " .

ويخالفه في الرأي وولفارت بانينبرج المولود سنة (1928) Wolfart Pannenberg ، ويعلن للعالم أن المسيح بالحقيقة قام من بين الاموات . ولبرهة تختلج قلوبنا فرحاً ، ظانين أن أحد أبطال الإيمان الرسولي قد ظهر، ولكننا سرعان ما نغرق في الإحباط عندما يتحدث بانينبرج عن مسيح غير معصوم من الخطأ - عندما يخطيء الظن بأن قيامته سوف تواكب نهاية العالم وقيامة كل المؤمنين .

إن ألوفا من الأصوات في صالون علم اللاهوت الحديث تنادي بعدة آلاف من النظريات في بلبلة لا تنتهي . وحين يسمع العالم الخارجي كل هذه البلبلة ، ولا يجد صوتا واضحا جازما ، فإنه يسد أذنيه ويمضي في طريقه بعيداً . ومن القليل الذي استطاع أن يلتقطه ، استنتج أنه ما من أحد متيقن إن كان للمسيح وجود أم لا، ولكن أيا كان الأمر ، فالمسيحية عبارة عن إتباع مثال المسيح . وقد قادت الأنشطة الكنسية العالم ليظن أن إتباع مثال المسيح يكون في الانغماس في النشاط السياسي أو الاجتماعي بين الفقراء . وهكذا يهلك العالم بدون تذكرته بتعدياته على خالقه القدوس وديانه . ويجهل العالم أيضا أن في الله الإنسان مخلصاً كافياً للتائب .

لقد حان الوقت لهؤلاء العارفين الحق أن يرفعوا أصواتهم عالياً حتى تخفت أصوات علماء اللاهوت الحديث وتبدو كالصمت . فكلمة الله واضحة تماماً بخصوص شخص الرب يسوع المسيح . وقد لخص هذا الحق ببراعة في إقرارات الإيمان القديمة . ونستطيع أن نعلن للعالم بنبرة واثقة وغير مهتزة بأن " ابن الله ، الأقنوم الثاني في

الثالوث ، هو الله الأزلي نفسه ، ومساوٍ للآب في الجوهر ، ولما جاء ملء الزمان ، اتخذ طبيعة البشر ، بكل خصائصها الأساسية وضعفاتها العامة ، لكن بلا خطية : وحبل به بالروح القدوس في أحشاء مريم العذراء من جوهرها . وهكذا اتحدت طبيعتان كاملتان ومتميزتان، الإلهية والبشرية في شخص واحد ، بلا تحول ولا اختلاط ولا امتصاص . هذا الشخص الله الكامل والإنسان الكامل لكن مسيح واحد ، الشفيع الأوحد بين الله والناس . (اقرار ويستمنيستر ، الثامن ، 2) .